

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة في شعر ابن الجّان الأنصاري الأندلسي

الدكتور منجد مصطفى بهجت

كلية الآداب - جامعة الموصل

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد،

فهذه دراسة، هي أول دراسية مستفيضة - فيما نظن - عن شاعر كبير من شعراء عصر الموحدين، ابن الجّان الأنصاري، وما كان لها أن تكمل وتظهر بهذه الصورة، إلا بعد أن وفقني الله لجمع وتحقيق أشعار الشاعر من المصادر المطبوعة والمخطوطة في ديوان يمثل للطبع. وكان أول عهدي بالشاعر عام ١٩٨٢ حيث كتبت بحثاً عن المديح النبوي في عصر الموحدين...

وكان على البحث أن يعرف بالشاعر وسيرته ويحقق تاريخ وفاته، ثم يقف عند ديوانه ومصادر شعره على نحو من الإيجاز، ثم بشيء من التفصيل دار الحديث حول موضوعاته الشعرية التي جاءت في أربعة، شعر الإلهيات، والنبويات، وشعر الأخويات والمراجعات، وشعر الرثاء، وانتقلت بعدها إلى دراسة السمات والخصائص الفنية لشعره بشيء من التفصيل، وقد حاولت في الدراسة أن أوجز كثيراً من التفصيلات للكتاب الذي نأمل أن يرى النور عن الشاعر بإذن الله .. والله نسأل أن يقبل عملنا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

١ - حياته وسيرته:

هو أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، المعروف بابن الجنان^(١)، وقد تلقب بهذا اللقب عدد من أعلام الأندلس^(٢). عاش في القرن السابع الهجري، عصر الموحدين، حيث شهد في حياته بالأندلس، مجد الدولة الموحدية كما شهد انحسارها وضعفها.

لا نعلم شيئاً عن ولادته وحياته الأولى، ولكن نستطيع أن نقدر بأنه نشأ نشأة أبناء عصره، وقرأ من عهد مبكر ما يقرأونه، وقدر له الاسترسال في هذا الاتجاه حتى بلغ ما بلغه على نحو ما سيأتينا.

ونلمس تعلقه الشديد بأبيه، وبرّه إياه، حين يصور ذلك في أطول قصيدة له في الديوان ويحدثنا عن وفاته، التي كانت أيام سقوط مرسية سنة ٦٤٠هـ، حيث اشتدت شوكة الإسبان، وتسلطوا على الأندلسيين واضطر هو إلى الرحيل عنها إلى أوريولة، وترك أباه الذي تعلق بوطنه حتى اشتد مرضه بعد عام من رحيله ولم يمهله القدر بعدها^(٣):

أبى مصاب أبي مني السلوّ، فيا قلبي وجفني، قفا نبك الحبيب قفا
هَجَرْتُ داري وأحبابي ومن شيمي وصل المهاجر إما خانني وجفا

١- تصحف لقب الشاعر عند عدد من المتأخرين إلى ابن الجيان، ينظر سعادة الدارين: ٥٤٠، ٦٦٣، ٦٦٧.

٢- منهم: أبو بكر أحمد بن الجنان المرسي (الخريدة) ٢/٢٥٣، وأبو بكر محمد بن عبدالغني بن الجنان الشاطبي (زاد المسافر ١١٥ جذوة الاقتباس ١/٢٦٦)، وأبو عبدالله محمد بن أحمد الجنان الغرناطي ولد قرب سنة ٩٥٦هـ (درة الحجال ٢/٢٣٦) وآخرون.

٣- ٢٧، ٢٤، ٥٢، ٥٥.

ويصور حيرة أبيه بين إجابة داعي حب الوطن، والاستجابة لنداء القلب في
حب الولد فيقول: (٤)

ما زلتُ أُجذبه والدار تجذبه فأتياً سبقا نحوي ومنصرفا
فجاء أوريولةً يماً كعادته يُطيعُ قلباً بحبي كان قد شُغفا

ولا يهمله القدر إذ يتوفى بعد تسعة أيام فقط من قدومه:

أقام تسع ليال ما وجدت له فيها شفاء ولا صدر المشوق شفا
ومن أبيات القصيدة ذاتها نعلم أن له أخوين، يخاطبهما، ويطلب منهما أن
يسعداه بالبكاء بعد فقدهم أباهم:

يا ابني أبي لا تكونا في مُصابكما كمثل من نكر الأخوانَ أو نكفا
يا ابني أبي أسعدا بالله صنوكما بعبرةٍ تفضحُ الهطالة الوكفا

ولا ينسى أياديهِ البيض عليهم، وشدة عكوفه عليه، وعلى أخوته:

غَدَى ورِيّ وأولى كُلى عارِفَةٍ وبالحنانِ لنا في ظلِّه كنفنا
مَسَّهَدَ الجفنِ لا ترمش مدامعه كأنما طَرَفُه من دوننا طَرِفا

ويشير إلى تعليمه دروس القرآن الكريم، ودروس الحياة الأولى في قوله:

أَيَّامَ عَلمني التتزيلَ يمنحني منه الهدى وعلى أخذى له اللطفا

٤- ق ٥٦/٢٧، ٥٩، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨-١٥١، ١٥٥-١٦٥.

قد كانَ علّةً كوني ثم رشّحني إلى الحياة التي أرجو بها الرّزفا

ومضت بمحمد الأيام، فأصبح من علماء عصره المشهورين، من أهل الرواية والدراية، محدثاً، كاتباً، بليغاً، شاعراً، بارعاً، وصف بجودة الخط، وحسن الضبط، والحفظ والاتفاق^(٥).

تحدثت المصادر عن خلقه وفضله، وذكائه، إذ كان لطيف الشمائل وقوراً، أما عن صفاته الخلقية، فقد ورد أنه كان مفراطاً في القماءة، حتى يظن رائيه إذا استدبره أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها^(٦)، ولله درّه إذ استبدله الله محاسن الخلق بقماءة خلقه .. فقد كان ذكره عطرأ في حياته وبعد مماته .. وله في عطاء ابن أبي رباح^(٧) (ت ١١٥هـ) إمام أهل مكة وعالمها أسوة حسنة.

أوسع من تحدث عن شاعرنا، ابن عبدالمك المراكشي المتوفى سنة ٧٠٣هـ في كتابه الذيل والتكملة، إلا أن الجزء الذي ترجم له فيه لا يزال مفقوداً^(٨)، وقد نقل عنه عدد من العلماء، روى ابن الخطيب أنه: خرج من بلده، حين تمكن العدو من بيضته عام أربعين وستمائة، واستقر بأرويله^(٩) إلى أن استدعاه إلى سبنة

٥- عنوان الدراية ٣٤٩، الإحاطة ٣٤٨/٢، النفع ٤١٦/٧.

٦- الإحاطة ٣٤٩/٢.

٧- روى ابن خلكان في وفياته ٢٦٢/٣ أنه " كان أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج ثم عمي، مففل الشعر".

٨- النفع ٤١٥/٧.

٩- اوربولة: مدينة في بلاد شرق الأندلس، تقع على نهر شقورة شمال شرقي مرسية، وقد لعبت في تاريخ شرق الأندلس دوراً مهماً، فسقطت في أيدي الأرجونيين سنة ٦٦١هـ، الإحاطة ٣٤٩/٢ هامش ٣.

الرئيس أبو علي بن خلاص^(١٠). فوفد عليه وحظي عنده حظوة تامة ثم توجه إلى إفريقيا (تونس) فاستقر ببجاية.

روى عن علماء عصره أمثال: أبي الربيع بن سالم، وأبي الحسن بن سهل بن مالك، وأبي علي الشلوبين. ومن روى عنه قليل، منهم: صهره أبو القاسم بن نبيل، أبو الحسن محمد بن زريق^(١١).

لقد أحرز ابن الجنان مكانة وشهرة في عصره، كان من ذوي المواهب المزوجة شاعراً وناثراً وجرت بينه وبين علماء وأدباء عصره مخاطبات ومكاتبات، ظهرت فيها براعته، وقد تناقلت أخبارها ونصوصها المصادر، ومنهم: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني^(١٢)، وأبو المطرف بن عميرة المخزومي^(١٣)، وابن المرابط^(١٤)، وغيرهم.

ويحفل كتابا ابن عبدالمك المراكشي، وابن المرابط^(١٥)، بمعلومات ضافية في هذا المجال، فعلى الرغم من ميله الشديد للزهد في الحياة، وعدم انحيازه لأمرء

١٠- تولى ابن خلاص سبئة سنة ٦٣٧هـ، وتوفي سنة ٦٤٦هـ، تنظر ترجمته في البيان المغرب ٣٥٩/٣ (ط تطوان)، النفع ٣٦٥/٧ هامش (٢).

١١- الإحاطة ٤٣٩/٢.

١٢- تنظر ترجمته في الذيل والتكملة ٣٢٣/١/٥ - ٣٦٦، مقدمة الأستاذ إبراهيم شبوح لبرنامج شيوخ الرعيني..

١٣- ينظر في ترجمته كتاب الدكتور محمد بن شريفة، أبو المطرف بن عميرة المخزومي، حياته وأثاره (ط جامعة محمد الخامس ١٩٦٦م).

١٤- عرف بهذا اللقب عالمان، أحدهما: أبو العلاء محمد بن علي بن ظافر، تنظر ترجمته في هامش ق٢، وهو مؤلف كتاب زواهر الفكر، وجواهر الفقر، مخطوط في الاختبارات الشعرية، والآخر: ابن عم أبي العلاء المذكور آنفاً، ومعلوماتنا عنه من خلال كتاب زواهر الفكر، قاض وعالم جليل له شعر ونثر كثير في الكتاب وله صلة متينة ومراسلات مع شاعرنا ابن الجنان.

١٥- الذيل والتكملة ١٠٨/٤ - ٣٢٧/١/٥، ٣٣٤، زواهر الفكر في مواضع كثيرة متفرقة منها: ورقة ١٤٩، ١٥٥، ١٧١.

عصره، فإنه لم يكن ذاهلاً عن مجتمعه، نائياً عنه بل كانت له مشاركات^(١٦)، فقد انتعش موضوع المراجعات والمراسلات الأدبية، شعراً ونثراً، كذلك ازدهرت المجالس الأدبية، على نحو ما سيأتينا في أشعاره، التي عارض بها رائية علي بن الجهم^(١٧)، وشينية المتنبي^(١٨) والأبيات التي بارى فيها جلساءه في وصف الطاووس^(١٩).

أثنى المؤرخون عليه، فقال الغبريني (ت ٧١٤هـ) عن مراسلاته مع أبي المطرف بن عميرة والحركة الأدبية التي صحبت تلك المراسلات: "وكثيراً ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء، ونثره ونظمه كله حسن، ونثره غزير وأدبه كثير"^(٢٠).

وصفه ابن الخطيب (٧٧٦هـ) فقال: "ومحاسنه عديدة، وآماده بعيدة.."^(٢١)، وقال عنه في موضع آخر: وكتابته شهيرة، تضرب بذكره فيها الأمثال، وتطوى عليه الخناصر"^(٢٢).

أما المقري، فقد أعرب عن إكباره له، وأشار إلى سعة أخباره، وجودة أدبه فقال: "وترجمة ابن الجنان واسعة جداً، وكلامه في النبويات نظماً ونثراً جليل رحمه الله"^(٢٣)، وقال في موضع مثنياً عليه: "وكم لهذا الكاتب من محاسن، ماؤها غير

١٦- زواهر الفكر ورقة ١٤٩، ١٥٠، ١٦٢.

١٧- ديوانه ق ١٦.

١٨- ديوانه ق ١٨.

١٩- ديوانه ق ١٤.

٢٠- عنوان الدراية ٣٤٩.

٢١- الإحاطة ٣٢٩/٢.

٢٢- الإحاطة ٣٥٢/٢.

٢٣- النفح ٤٣١/٧.

آسن" (٢٤) وبلغ الإعجاب بشعره، أن المقري كان كثيراً ما ينشد مخمسته اليمينة في مجالس التدريس (٢٥)، وساق لنا عدداً من معارضات مخمسته في كتابه (٢٦).

٢ - وفاته:

انفرد ابن الخطيب بذكر وفاته فقال: قال الأستاذ في الصلة: "انتقل إلى بجاية، فتوفي فيها في عشر الخمسين وستمائة" (٢٧). وقد وهم محقق عنوان الدراية، حين نسب إلى ابن الخطيب أن خروجه من بلده كان في أربع وستمائة، معتمداً في ذلك على الحل السنديسي (٢٨) الذي سقطت فيه لفظة الخمسين المضافة إلى لفظة "عشر"، حيث يقع التحريف في تاريخ الوفاة.

ومما يصحح هذا التحريف أن سقوط مرسية بأيدي الإسبان كان سنة ٦٤١هـ (٢٩)، وليس سنة ٦٠٤هـ، كما تصحف التاريخ عنده، فقد كان يحكمها ذو الوزارتين أبو علي بن خلاص صاحب سبته سنة ٦٣٧هـ، وقد أعلن بيعته للأمير أبي زكريا يحيى الحفصي سنة ٦٤٣هـ (٣٠)، وتوفي سنة ٦٤٦هـ.

كذلك يصححه اقتران قصائد ورسائل لابن الجنان في كتاب "زواهر الفكر" بتواريخ تدلنا على أنه كان حياً حتى سنة ٦٤٣هـ، فقد جاءت خطبة له مؤرخة في ٢٧ رمضان سنة ٦٤٢هـ (٣١)، وذكر ابن المرابط أنه أنشأ خطبته النكاحية بمرسية

٢٤- النفع ٤١٥/٧.

٢٥- نفسه ٤٣٨/٧.

٢٦- نفسه ٤٤٥/٧ - ٤٧٠.

٢٧- الإحاطة ٣٥٩/٢.

٢٨- عنوان الداربية ٣٤٩ هامش ١، الحل السنديسي ٥١١/٣.

٢٩- الآثار الأندلسية الباقية ٩٩.

٣٠- عصر المرابطين ٤٧١ / ٢، ٥١٢.

٣١- زواهر الفكر ورقة ١٣٤.

في غرة جمادى الأولى سنة ٦٤٣هـ^(٣٢)، ويُرجح أن ابن الجنان توفي قبل أن ينتهي ابن المرابط من تأليف كتابه سنة ٦٤٨هـ، وذلك لأنه استخدم عبارات الترحم على الشاعر مقرونة به، ومن هنا يمكن أن نقرر أن وفاته كانت بين سنتي ٦٤٦ و٦٤٨هـ. إذا قدرنا أنه ترك سبته إلى بجاية بعد وفاة أبي علي بن خلاص سنة ٦٤٦هـ وكان قد حظي ابن الجنان عنده، وهو ما ينسجم مع رواية ابن الخطيب عن وفاته.

٣- ديوانه ومصادر شعره:

لم يكن أبو عبدالله بن الجنان بدعاً في الشعراء الذي لم تدون أشعارهم في حياتهم أو بعد مماتهم. وإذا كان فقدان دواوين الشعراء المغمورين أمراً مألوفاً، فإنه ليس ببعيد عن عدد من كبار الشعراء، ومن هؤلاء ابن شهيد الأندلسي^(٣٣)، إذ لم ترد الإشارة إلى جمع شعره في ديوان، في كتب القدماء، على الرغم من غزارة نتاجه، وشهادة النقاد له بالباع الطويل، والحنق والبراعة.

لقد أوشكت أشعار ابن الجنان أن تذهب بذهاب مصادرها، لا سيما المخطوطة منها وذلك لأن ما وصل إلينا من أشعاره جاء برواية واحدة، في مصدر واحد، وقد تعرض غير قليل منها للتحريف والتصحيف بسبب جهل النساخ، ومن نقل عنهم.

لا يمثل ما استطعنا الوقوف عليه من أشعار الشاعر جميع أشعاره، فقد جاءت نصوصه الشعرية في الديوان الذي صنعه في أربعة وخمسين نصاً، اجتمع فيها زهاء ألف وثلاثمائة بيت، إذ لدينا إشارات إلى أشعار للشاعر مفقودة، فالجزء الذي ترجم فيه ابن عبدالملك المراكشي للشاعر، لما يزل مفقوداً.. وقد نقل عنه ابن الخطيب في الإحاطة، كما نقل المقري عنه في نفح الطيب، ويشير ابن المرابط

٣٢- نفسه ١٥٦.

٣٣- ابن شهيد الأندلسي، حياته وأدبه ٥٦-٥٧.

في القسم الثالث من كتابه، زواهر الفكر، إلى أن الشاعر قدم أبياتاً للقسم الثاني منه، ولم نقف عليها، لأن هذا القسم ما يزال مفقوداً.

على الرغم من عدم وصول ديوان مدون للشاعر، أو مجموع شعري له، فإن أشعاره لم تضطرب نسبتها إليه فتتصرف إلى غيره .. باستثناء قصيدة لامية في عشرة أبيات مطلعها:

لولا النبي محمد هلك الورى من سوء حاله

حيث وهم يوسف النبهاني^(٣٤) المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، فنسبها إلى الشاعر معتمداً على نوح الطيب ولدى مراجعتنا القصيدة في النوح وجدناها فيه بغير عزو.

تتوزع أشعار الشاعر، كما هو واضح، على ستة مصادر في مقدمتها مخطوط "زواهر الفكر وجواهر الفقر"، وهو نسخة فريدة في مكتبة الاوسكريال، لأبي العلاء محمد بن علي بن ظافر المرادي المشتهر بابن المرابط^(٣٥) (ت ٦٦٣هـ)، وهو أكبر مجموع شعري للشاعر، ويعد الكتاب، من أوثق المصادر في رواية أشعاره، لأن المؤلف كان ينقل عن الشاعر مباشرة ومشافهة، كما أنه يؤرخ القصائد، ويذكر مناسبتها، والنسخة المخطوطة حزائنية نفيسة، منقولة عن نسخة المؤلف التي كتبها بخط يده، انتهى من نسخها في حياة ابن الجنان سنة ٦٤٨هـ.

انفرد ابن المرابط برواية اثنين وثلاثين نصاً في ٨٤٤ بيتاً، وهو يؤلف حوالي ٦٥% من أشعار الشاعر.

٣٤- سعادة الدارين ٥٤٠.

٣٥- تنظر ترجمته في هامش القصيدة (٢) من الديوان.

أما المصدر الثاني لأشعار الشاعر، فهو مجموع شعري مجهول العنوان، والمؤلف انفرد برواية قصيدة واحدة للشاعر سماها، القصيدة المباركة الشريفة في مائة وأربعين بيتاً.

والمصدر الثالث لأشعاره، هو نفع الطيب للمقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، وانفرد برواية خمسة عشر نصاً في مائة وواحد وعشرين بيتاً، والمصادر الثلاثة المتقدمة آنفاً، يؤلف ما ورد فيها نسبة ٨٥% من مجموع شعره.

أما بقية أشعاره فتتوزع على ثلاثة مصادر هي: الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي، وعنوان الدراية للغبريني (ت ٧١٤هـ)، والإحاطة لابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) أوردت هذه المصادر تسعة نصوص في مائة وأربعة أبيات.

نال الشاعر الحيف والإهمال من الدارسين المحدثين^(٣٦)، إذ لم تتلث كتبه عنده، باستثناء كتابين هما، سعادة الدارين ليوسف النبهاني، إذ ساق له أربع قصائد في ثلاثة وسبعين بيتاً، والحل السندسية لشكيب أرسلان (ت ٧٦٦هـ)، إذ ساق له قصيدة واحدة في خمسة وثلاثين بيتاً.

من هنا نستطيع أن نقرر بأن أشعار الشاعر لم يكتب لها الذبوع والانتشار، وظل تداولها محدوداً لدى طبقة من الأدباء، كذلك لم تتكرر روايتها، باستثناء النسبة الضئيلة من أشعاره.

٣٦- وقفت الدراسات الحديثة وقفة عابرة عند أشعار ابن الجنان، ومنها كتاب الدكتور محمد مجيد العيد الشعر في عهد المرابطين والموحدين، تحدث في فصل طويل عن الشعر الديني ص ٢٥٦- ٢٨٩ واكتفى بالإشارة إلى خمسة الشاعر الميمية ص ٢٧١، كذلك اكتفى الدكتور حكمة الأوسي في كتابه الأدب الأندلسي في عهد الموحدين ص ٢٣٦ بالإشارة إلى أن للشاعر قصائد في مدح النبي مفعمة شوقاً وصدق عاطفة.

٤ . موضوعاته الشعرية:

يوشك أن يكون أبو عبدالله، قد نظم في موضوعات الشعر العربي المعروفة، جُلّها، باستثناء الموضوعات التي باينت سلوكه الديني، وسيرته القديمة، اللذين نشأ عليهما، وعُرف بهما، إذ انعكست مبادئه على أشعاره، فعزف عن النظم في هجر القول وباطله، وضرب صفحاً عن موضوعات الشعر المنحرفة عن جادة الصواب .. كالغزل الماجن والهجاء .. والدراسة المتأنية تكشف لنا عن شاعر غزير الإنتاج، وإذا كانت موضوعات الشعر تتشابه في القصيدة الواحدة، فإننا نستطيع أن نشير إلى أبرز موضوعاته الشعرية حسب أهميتها.

أ- شعر الإلهيات:

تتصدر الإلهيات^(٣٧) والنبويات^(٣٨) قصائد ديوان ابن الجنان، وقد احتجن الديوان أربعاً وعشرين قصيدة تُولف نسبة ٤٤% من محتويات الديوان، أي أقل بقليل من نصف الديوان، والموضوعان يأتيان متلازمين تلازماً قوياً ومتيناً، ومقتربين أحدهما بالآخر اقتران ذكره عليه الصلاة والسلام بذكر الله تعالى في الأذان، فلا يذكر الله إلا ويذكر معه، وذلك أمرٌ مألوف في قصائده، ما دام حلقة تامة، فإن الركن الأول من شهادة المسلم هو توحيد الله، والركن الثاني هو الإقرار برسالته عليه الصلاة والسلام، فمن ذلك قصيدته التي يتشوق فيها للحج إلى بيت الله الحرام وهي في ثلاثين بيتاً، وفي أبياتها يصور كرب التائبين وحزنهم الشديدين فيقول: ^(٣٩)

٣٧- تنظر قصائده: ١، ٤، ٥، ٦، ٧، ١٣، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢٨، ٤٠، ٥٢.

٣٨- تنظر قصائده: ٢، ٥، ٦، ٩، ١٩، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٤، ٥٠.

٣٩- ق ٦/ ٢٠، ٢٢، ٢٦، ٢٨.

له الله من ذي كريمة ليس يرتجى

لمرتحل سوى الله فارجا

يخوض بحار الذنب ليس يهابها

ويصعق ذعراً أن يرى البحر هائجاً

يتيه ضاللاً في غيابة همّه

فلا جبر يهديه لرشد ولا حجا

ويرجو الشفاعة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خاتماً قصيدته بذكره
عليه الصلاة والسلام:

لعل شفيعي أن يكون معاجلاً

لداء ذنوب بالشفاء مُعاجلاً

فما لي لآمالي سوى حب أحمدٍ

وصلت له من قرب قلبي وشائجا

وبيت الله مما يهيج لواعج الشوق، ونيران الصبابة، إذ يرى دواعي الحج
وأساببه بصدور الركب أو وروده: (٤٠)

يا حاوي الركب، قِفْ بالله يا حاوي

وارحم صاباة ذي نأى وابعاد

ما ينبغي عنك إلا أن تُصيخ له

سمعاً ليسأل عمّن حَلَّ بالوادي

وتعود القريدة عنده ضرباً من الموجد والأشواق المستعرة:

بين الجوانج نار للجوى و قدتْ

فإن قدرت فاحمذُ بعض اخمادِ

هيهات تسطيع اخماداً وذكرهم

يزيدُ نارَ ضلوعي نار إيقادِ

وجدني بهم وجد ذات الضيم جيل بها

عن وردها صرف زواد ووراد

وإذا كانت العوائق قد حالت بينه وبين زيارة بيت الله الحرام، فإنه لا يعدم
إبلاغ السلام، وهو الغريب الذي ناء به الغرب:

واقراً سلامي على تلك الخيام كما

يرضى الوفاء بتكرير وترداد

وقل غريبكم في الغرب ناء به

يا حاوي الركب قف بالله يا حادي

وثالثة الاثافي قصيدته الضادية التي نظمها في وداع شهر رمضان المبارك
وحزنه لمفارقة الشهر الكريم، وتأتي قصيدته في عشرين بيتاً^(٤١):

مضى رمضان وكان بك قد مضى

وغاب سناه بعدما كان أومضا

ففي بينه بيّن شجوتك مُعلماً

وفي إثره أرسل جفونك فُيضا

وبعد أن يحدثنا عن مقام رمضان في نفوس المسلمين وأيديه البيضاء عليهم،
وفضائله السابعة، وجلال ليلة القدر بين لياليه ينتقل إلى مدح الرسول صلى الله
عليه وسلم فيقول:

جزاهُ إلى العرش خَيْرَ جزائه

وأكرمنا بالعفو منه وبالرضا؟

وصلّى عليه من نبي مُبارك

رؤوفٍ رحيمٍ للرّسالة مُرتضى

ومن قصائده الخالصة النزعة هائيته، وهي مما نظمه على سبيل الارتجال،
فقد حضر أبو العلاء بن المرابط عنده يوماً فسأله أن يكتب له شيئاً، فكتب أبو
العلاء لفظ الجلالة "الله" وسأله أن يجعلها أول ما يفتح قوله، فكانت قصيدته في
واحد وعشرين بيتاً، أول البيت لفظ الجلالة "الله" وآخره كذلك، وهي في مجملها
تعداد لآلاء الله ونعمه علينا، وضرورة الرجوع إليه دائماً، ومنها^(٤٢):

٤٢ - ٥٢ / ٤، ٦، ٧، ٢٠، ٢١.

لله فضل في الوجود أفاضه كم نعمة وتفضّلٍ لله
لله ما أوفى وأوفر منّة في كل شيء منة لله
لله فينا رحمةً ماثورةً تحيي بها، ويرأفةً لله

وفي قصائده في هذا الاتجاه، دالّيته وهي في عشرة أبيات ومطلعها^(٤٣):

سأصبر حتى ينجز الله وعده ولا بد للرحمن أن ينجز الوعدا

وهو وإن استهلها بذكر الصبر والدعاء، وعاد لذكره ثانية في البيت السادس، فإنها تدخل في باب الإلهيات، إذ إن الشاعر يدعو الله سبحانه، ويذكره ويحمده، ويرجوه أن يفرج أزمةً حلّت به، وقد تكون أزمته أزمة المسلمين في عصره، مما يمنح القصيدة بعداً إنسانياً، وكعادته في ذكر الله، إنه يشفعه بذكر نبيّه، ويطلب منه الشفاعة، ويختمها باستخارة الله سبحانه، دون أن يسمّي موضوعه الذي يستخير الله تعالى فيه فيقول:

وما زال لطف الله يفرجُ أزمة

إذا استصعبت عقداً أو استحكمت شداً

فيا من له الأطفاء تأتي خفيّة

تدارك برحماها ومثتها العبادا

ومالي مقالٌ غيرُ حميدٍ مرددٍ

على كلِّ حالٍ فاقبلِ الشكرَ والحمداء

فشَفِّعهُ يا مولاي واخصصِ جنابه

بأذكى سلامٍ ينضح المسك والنَّدا

وبالاتجاه ذاته تمضى قصيدته الميمية، وفيها لزوم ما لا يلزم، وهي في ثلاثة عشر بيتاً يبدوها بذكر اليأس الذي داهمه، ثم قتله الشاعر بعزيمته القعساء، وحلّى نفسه بالصبر الجميل وتزيى بلباس التقوى، وتسريل بالتسليم والرضا التام والرَّجاء الصادق، فهذه سبيل السعادة: (٤٤)

إذا ما علا يأس يغالب لي الرِّجا

ويحجب من رياء الرضا ما تأرِّجا

وفيها يخاطب نفسه فيقول:

وميلي إلى الصَّبر الجميل، فإنه

لينصرُّ من للصبر، مال وعرجا

وديني بتقوى الله، يجعل بلطفه

لكِ اللهُ من كلِّ المضايق مخرجاً

فهذي سبيلٌ إنْ هُديتْ لقصدِها

وجدتِ إلى فرقى السعادة معرجاً

ويتجلى هذا التسليم والإذعان في أجلى صورة في الأبيات الثلاثة التي قالها
في مرض موته^(٤٥):

جهل الطبيب شكائتي وشكائتي

أن الطبيب هو الذي هو ممرضي

فإن ارتضى برئي تدارك فضله

وإن ارتضى سقمي رضى بما رضى

مالي اعتراض في الذي يقضى به

لكن لرحمته جعلت تعرضي

ولا يفتأ الشاعر يمزج في قصائده، بين دعاء الله سبحانه والتضرع له، والتوجّه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، بطلب الشفاعة، وهذا ما تعرب عنه ميميته التي جاءت في خمسة أبيات^(٤٦):

يا أرحم الخلق يوم الحشر والنّدم

ارحم عبيدك يا ذا الطول والنعم

إنني توسلت بالمختار ملجؤنا

الطاهر المجتبي من خير الأمم

فهو الشفيع الذي أرجو النجاة به

من الجحيم إذا الكفار كالحمم

كذلك يستهل تائيته، التي اختصها بمدح الرسول (عليه الصلات والسلام)، وهي في اثني عشر بيتاً، يستهلها بذكر الله تعالى وتنزيهه عن أن يحيط به وصف، الصفات في ثلاثة أبيات فيقول^(٤٧):

يا من تقدّس عن أن يحيط وصب بذاته
ومن تعالي جلالاً عن مشبه في صفاته

٤٦- ٧ / ١، ٤، ٥، ٧.

٤٧- ٥ / ١، ٢، ٩، ١٠.

وسرعان ما ينتقل إلى مديح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، الذي نور الهدى من سماته، تسمو به درجاته الرفيعة، ويكرر اسمه في ثلاثة أبيات، هو فيها خير هاد، وخير داعٍ، وخير مبدٍ، ويستخدم أسلوب التعجب في إظهار مكارمه السامية:

أكرم به من نبي همت سما مكرماته
أكرم به من رسول سمت علا درجاته

ومن شروط الإيمان، التوكل على الله والتسليم له، وتفويض الأمر إليه، والإيمان بأن كل ما يسوقه هو للخير، وفي هذا الاتجاه يقول (٤٨) :

علق رجاءك بالإله فإنه

ما خاب في فضل الإله رجاء

والجأ إليه إذا عرتك ملامة

يعصمك ايواء له ولجاء

واعلم بأن الخير في يده فما

شاء الكريم به إليك يجاء

ويلاحظ أن شخصية المؤمن بالله تبقى مهيمنة عليه في جميع أحواله، وإذا ما حلَّ به عارض أو نزل به أمر، فإنه يعزوه إلى الله سبحانه، وحين يقف الشعراء وينظرون إلى النواحي الجمالية من الكون، فإن أبا عبدالله ينظر فيها على أنها مما يعزز الإيمان ويقويه لأن ذكر الله كان هاجسه، وتسبيحه، وتتزيهه سبحانه كان دينه، فإذا انحسب المطر، واشتدت حاجة الناس إليه، وارتفعت أكفّ الضراعة ثم نزل، فيسأله أبو العلاء بن المرابط، أن يقول شيئاً في ذلك، فيقول: (٤٩)

الغَيْثُ فِي الْغَيْبِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ

إِلَّا الْإِلَهَ الَّذِي يُمْنَى بِهِ السُّحْبَا

لِوَجْهِهِ الْحَمْدُ لَا نُحْصِي التَّشَاءَ لَهُ

وَلَا نَطِيقُ لَهُ شُكْرًا كَمَا وَجَبَا

ويطول بنا المقام لو مضينا ننتبع إلهياته جميعاً، إذ إن الشاعر لم يغادرها، أو يبتعد عنها إلا لماماً ذلك لأن الله كان حاضراً معه في ضميره، حتى أنه كلف أن يعارض رائية علي بن الجهم في الغزل، فعارضها، وأثبت لحبيبه من الصفات، ما يفوق ما أثبتته ابن الجهم، فتفوق عليه: (٥٠)

٤٩- ٤ / ١، ٣، ٤.

٥٠- ١٦ / ٧، ٨، ١٢، ١٦، ١٩، ٢٠.

فهمت بمحبوب فهمتُ كماله

فلم يلتفت إلا لحضرتة سري

حيبٌ تعالى أن يحيط بوصفه

مقالي، وأن يُحصي محامدَه سُكري

وتشوب القصيدة نزعة صوفية، حيث يحدثنا عن كلفه وهيامه بالذات الإلهية

فيقول:

فكل حجاب فهو عندي وعنده

تجل، إذا أجلو: بأذكاره فكري

له الكلّ منّي بل هو الكلّ وحده

فمن أنا؟ لا أدري، حسرى ولا أدري

فنيته به لَمَّا سَكِرْت بحبّه

فمحوى إثباتي، وصحوي في سُكري

سقاني بأكواس المحبة صرفها

فيا حبذا خمز المحبة من خمري

كذلك نجده يهتبل مناسبات كثيرة في تأكيد قضيته التي هي توحيد الله،
وتعظيم مقام رسوله في النفوس، وهو أمرٌ جليٌّ في قصائده (٥١).

ب- شعر النبويات:

أشرتُ أنفاً إلى تلازم شعر الإلهيات بشعر النبويات، فالشاعر حينما ذكر
الله يذكر رسوله الكريم خاتماً به قصيدته، مصلياً ومسلماً، فقصيدته الجيمية التي
تقدمت يختمها بقوله: (٥٢)

عليه سلام الله من ذي صباية

حليف شجا يكنى من البعد ناشجا

وأخر عينيته: (٥٣)

وأهدى إلى مثواه منّي تحية

إذا قصدت باب الرضا لم تدفع

٥١- ينظر فضلاً عما تقدم القصائد "٢، ٢٩"

٥٢- ٢٩/٦.

٥٣- ١٧/٢٤.

وأخر قصيدته الضادية التي تقدمت: (٥٤)
وصلى عليه الله ما أسماه في شرف وما أولاه بالأسماء

وأخر قصيدته العينية كذلك: (٥٥)
وعليك الصلاة بدءاً وَعَوْداً ما أضاعت ذكاءً عند الطلوع

وأخر قافيتته: (٥٦)
وصل الصلاة عليه فهي وسيلة

بصّلاتها دوح السعادة يورق

لكن الشاعر فضلاً عن ذلك أفرد قصائد خاصة في النبويات، والسمة الغالبة عليها مديح الرسول عليه الصلاة والسلام، فالشاعر هائم بحب النبي، وهو يتفنن في عرض زوايا حبه إياه بأفانين الأساليب وأنماطها ... فهو في ميدانه بارع ساطع، وسهمه في مضماره مُفَوِّقٌ محلّق، وكيف لا، وآماله كلها تتجسد في حبّ النبي الكريم، حتى أنه يرجو أجفانه النُصفة، فتسفك دماءً لا دموعاً: (٥٧)
فما لي لآمالي سوى حب أحمد

١٧/١٩ - ٥٤.

١١/٢ - ٥٥.

٧/٢٦ - ٥٦.

٧/٢٩ - ٥٧.

وصلت له من قرب قلبي وشائجا

ولو أنصفت أجفانه حقّ وجدّه

سفتك دماءً للدموع موازجا

ولذلك نجد الرسول (عليه الصلاة والسلام) في ضميره، يعيش معه في حلّه وترحاله، ولا تكاد صورته تغادره ساعة من نهار، فهو يرجو بجاهه أن ينال الخطوة عند الله وغفران الذنوب وهو الصادق في حبه إيّاه في مقطعة من سبعة أبيات منها: (٥٨)

أيذهبُ يوم لم أكفر ذنوبه

بذكر شفيعٍ في الذنوب مُشَفِّعٍ

ولم أقضِ في حقّ الصلاة فريضةً

على ذي مقام في الحساب مرَّقِعٍ

أرجّي لديه النفع في صدق حُبّه

ومن يَرْتَجِ المختار لا شك ينفع

وتتكرر هذه النبوة عند الشاعر في عينيه أخرى من سبعة أبيات كذلك: (٥٩)

بحبيب القلوب متعمد الخا—

—ق أبي القاسم النبي الشفيع

قد تشفعت من ذنوبي إلى ذي ال—

—عزة الواحد العلي السميع

لظوم لنفسه قد تهاهى

في الخطايا وكل فعل شنيع

ويشفع ابن الجنان الرسول (عليه السلام)، ليكفر خطاياها، وذنوبه، ويرجو
النجاه بحبه، الذي يتوجه به لله سبحانه (٦٠):

واستوهب الرحمن صادق حبه فبحبه فاز الهداة السبق

والرسول الكريم هو فتاح أبواب الخير، به يدرك اليمن وتال المكانة، وتدرك
الغايات السامية ولذلك حين ينوي ابن المرابط تأليف كتابه "زواهر الفكر، وجواهر
الفقر" يسأل أبا عبدالله أن ينظم أبياتاً يجعلها أول كتابه فيرتجل أبياتاً منها (٦١):

٥٩- ٢٤ / ١ - ٣.

٦٠- ٢٩ / ٥، كذلك ٨ / ٨، ٩.

ابدأ مقالك بالثناء على النبي

جئت محامدُه عن الإحصاءِ

واجعلْ وسيلتك التي ترجو بها

منه التجاوزَ، صاحبَ الإسراءِ

ختام ديوان الرسالة والهدى

فتاح باب شفاعة الشفعاء

وكذلك هو مسك ختام الأمور، وخاتم مسكها، ولذلك يسأل ابن المرابط شاعرنا أبياتاً يختتم بها كتابه المتقدم آنفاً، لكي يكون في ذكره (عليه الصلاة والسلام) ميسماً، وخاتماً^(٦٢):

اختم بذكر محمدٍ فيذكره

يزكو شذا مسك الختام ويعيقُ

٦١- ٢/١، ٥، ٧ واقتران ذكر الرسول (ص) بالشفاعة والوسيلة كثير من ذلك ٦/٢٦، ٨/٨، ١/٢٢،

٢٢/٣٧، ٥/٤٠، ١/٤١، ٢/٥٠.

٦٢- ٢٩/١، ٥، ٦، ٨.

وانظم قلائد مدحه فنظامها

دُرّ على جيد المحامد يُنسَق

وارقم صحتك الحسان بوصفه

فبه تروق الناظرين وتونق

وتتجلى في مدائحه للرسول (عليه الصلاة والسلام)، نبرة تتكرر في أكثر من
قصيدة، حيث يبذل جهده، ويقف طاقته على سياق صفات الرسول الكريم، وخلالها،
فهو إمام جماعة المسلمين، وأبهر الخلق، وصفاته أعجزت أهل البراعة أن
يصفوها ويدركوا أنحاءها^(٦٣):

بخاتم الرسول، أعني إمام تلك الجماعة
لأبهر الخلق مجداً يحكى الصّباح نَصّاعه
لمن صفات علاه تُعجزُ أهل البراعه

ويبدو أن أعظم أمر، وأسمى سبيل يمكن أن يقدمه المسلم للرسول
الكريم - من الناحية النظرية- فيما جاء في الآيات والأحاديث النبوية
يكن في توجيهه الله تعالى للمسلمين بقوله: "إن الله وملائكته يصلون

٦٣- ٢٢/٢، ٣، ٤.

على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً^(٦٤) فالآية الكريمة تتضمن فعلَي الأمر "صلوا" و"سلموا" ولذلك يتجلى هذا الأمر واضحاً لدى أبي عبدالله، ويتنامى حتى يتجسم في حقيقة أن الصلاة عليه تصبح هدفاً وغاية في أشعاره، في ثلاث قصائد، ميميتين في بحر الكامل، ودالية في الطويل..

جاءت الميمية الأولى في اثنين وعشرين بيتاً، استهل أبياتها السبعة الأولى بجملة "صلوا على" وانسأقت في محورين .. أحدهما: يقدم على تعداد خصاله السامية، وصفاته الرفيعة، وآخر يقوم على أساس تفرده بالمعجزات الخارقة، ومن النمط الأول قوله: (٦٥)

صلوا على خير البرية خيماً

وأجلّ من حاز الفخار صميماً

صلوا على من شُرِّفَتْ بوجوده

أرجاء مگّة زمزماً وحيطماً

صلوا على هادٍ أرانا هديُهُ

نهجاً من الدّين الحنيف قويماً

٦٤- الأحزاب: ٥٦.

٦٥- ٣٧/١، ٢، ٥، ٨.

ذاك الذي حاز المكارم فاغتدت

قد نظمت في سلكه تنظيمياً

ومن النمط الثاني قوله: (٦٦)

وبدت شواهد صدقه قد قُسمتْ

بدر الدجى لقسيمه تقسيماً

والشمس قد وقفت له لما رأت

وجهاً وسيماً للنبيّ وسيماً

كم آية نطقت تصدّق أحمداً

حتى الجمادُ أجابه تكليماً

والجدع حنّ حنين صَبٍ مُغرّم

أضحى للوعات الفراق قديماً

ويختمها بقوله:

يا أيها الرّاجون منه شفاعةً

صلوا عليه وسلّموا تسليماً

أما قصيدته الميمية الثانية فقد جعلها خمسة - وهي الوحيدة في ديوانه - فقد بنى شطرها على جملة "صلوا عليه وسلّموا تسليماً" في تسعة وعشرين مقطعاً ومطلعها: (٦٧)

اللله زاد محمداً تكريماً
وحببناه فضلاً من لدنه عظيمه
واختصه في المرسلين كريمه

ذا رافة بالمؤمنين رحيماً

صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

وهي الأخرى تقوم على المحورين المتقدم ذكرهما آنفاً، ومطلعها مما يجري في المحور الأول، ومما جاء في المحور الثاني قوله:

بركاته أريت على التعداد

كم أطعمت من حاضرٍ أو بادي
من قصعة أو حثية من زاد

رزقاً كريماً للجيش عميماً

صلوا عليه وسلّموا تسليماً

وأما الثالثة الاثافي فداليتها المعروفة بـ"القصيدة المباركة الشريفة" وهي في مائة وأربعين بيتاً، ولأهميتها أفردنا القول فيها في بحث سابق،^(٦٨) وهي أطول قصيدة للشاعر في هذا الموضوع.

الأول: تعداد معجزاته (عليه الصلاة والسلام) والأمور الخارقة التي أجزاها الله له على يديه.

الثاني: مقامه عندالله، ومنزلته التي آثره الله بها دون الأنبياء أو الناس.

الثالث: التحدث عن شمائله وكريم صفاته وخلاله.

وإذا صحَّ ما رآه الدكتور مصطفى سويف^(٦٩)، في تحليله لقصائد عدد من الشعراء المحدثين، من أن القصيدة الطويلة عنده "عملية كبرى" مركبة تساهم فيها

٦٨- القصيدة المباركة الشريفة، مجلة الرسالة الإسلامية ص٩٧ (وزارة الأوقاف - بغداد/ ١٩٧٦ سنة ١٩٨٤).

٦٩- الأسس النفسية للإبداع الفني ٢٦٦.

عمليات صُغرى، وأن الشاعر يبدع قصيدته قسماً قسماً .. فإن هذه المحاور الثلاثة تمثل أقسام القصيدة.

وأما الحديث عن معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) فحديث تناولته الأعلام وتعاودته، ولكننا نشير إلى رأي الشيخ يوسف النبهاني إذ يقول:

وكانت معجزاته ودلائل نبوته (صلى الله عليه وسلم) أكثر وأعظم، وأظهر وأدوم من سائر معجزات النبيين ودلائل نبواتهم، بل لو اجتمع جميع ما ظهر على أيديهم من ذلك مضاعفاً أضعافاً كثيرة لما عادل فضيلة واحدة له صلى الله عليه وسلم وهي القرآن.

كما أن جميع فضائلهم صلوات الله عليه وعليهم، لو اجتمعت لما عادلت فضيلة واحدة له صلى الله عليهم وسلم وهي المعراج، وما حصل له فيه، ولم يرد لأحد منهم صلوات الله عليهم معجزة إلا ورد له صلى الله عليه وسلم ما هو أعظم منها أو مثلها .. وله من المعجزات الباقية ما لا يحصى ولا يعد.

فمن ذلك بل أعظم ما هنالك كلام الله القديم، وقرآنه العظيم، فإنه يشتمل على آلاف كثيرة من المعجزات والدلائل .. ومن ذلك كرامات أولياء أمته صلى الله عليه وسلم.. (٧٠)

ومن البحوث القديمة التي ناقشت معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام، ما كتبه القاضي عبدالجبار الأسد أبادي (ت ٤١٥هـ) في إثبات سائر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم سوى القرآن، وبيان دلالتها على نبوته حيث جعلها على أضرب ثلاثة (٧١):

٧٠- حجة الله على العالمين ص ٣.

٧١- المغني في أبواب التوحيد والعدل - إعجاز القرآن - ١٦/٤٠٧ - ٤٢٣.

١- ما تعلم صحته وثبوته، إما باضطرار، وإما باستدلال.

٢- ما ظهر واشتهر ببعض الطرق التي تعلم منها الأخبار.

٣- ما ينقل نقل الأحاد، ويكثر ذلك.

ثم ذكر كثرة المصنفات في هذا الباب، وساق أمثلة لمعجزاته في الضربين الأولين في مناقشة منطقية هادئة..

وللقاضي عياض (٥٤٤هـ) مصنف عن الرسول عليه الصلاة والسلام تناول فيه معجزاته فجعلها صنفين (٧٢):

صنف: مقطوع به وقائم ومفهوم بالضرورة.

وآخر: لم يروه إلا العدد اليسير.

أما ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) فيرى أن معجزاته (عليه السلام) معنوية وحسية (٧٣) وقد فصلنا القول في مرامي القصيدة في البحث الذي أشرت إليه آنفاً، فلا أريد أن أطيل في غير مطال.

ج- شعر الأخويات والمراجعات:

تبدو قصائد ابن الجنان في هذا المجال، مقرونة بالمناسبات، كالتهناني والتبريك بدخول أحد العيدين، الفطر أو الأضحى، أو تهنئة بمولود، وكالتعازي والمواساة بفقدان عزيز .. وحلول نكبة طارئة، أو مرض عارض.

وجل هذه القصائد إن لم يكن جميعها يدخل في باب الأخويات، لأنه في أكثره يعنى بشؤون أصحابه وأترابه من أبناء عصره، ولم يتوجه به بقصد مديح الأمراء

٧٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ٢٠٩ (ط حجرية ١٢٧٦هـ).

٧٣- البداية والنهاية ٦/٦٥.

أو الوزراء من أصحاب السلطان، كان كثير التفقد لإخوانه، متتبعاً لأخبارهم وشؤونهم، وكذلك كان شأنهم معه بل تجاوز الأمر ذلك إلى أنه كان يستجيب لكثير مما اقترح عليه، فيرتجل الأبيات من ساعته، ويحقق لهم سؤالهم ونفسه قريرة بذلك..

وقد نشط أبو عبدالله في شعر المجاوبات والمخاطبات، وهو موضوع وثيق الصلة بالأخويات، وحلقة من حلقات ارتباط الشاعر ببيئته الاجتماعية، وتفاعله مع أبناء عصره، ومن ألوان شعر الأخويات شعر المجالس الأدبية، وقصائد التقريظ والتذليل والمعارضة.

وهذه الأشعار في مجملها تُولف نسبة كبيرة من أشعاره بحيث تحرز المرتبة الثالثة بعد شعر الإلهيات والنبويات..

ومن قصائد التهاني ميميته التي جاءت في ستة أبيات، يخاطب فيها أبا بكر ابن المرابط، ويبث فيها لواعج الشوق، بعد أن فرَّق الدهر بينهما، وشنت شملهما، ويشعر بالحزن لعدم اجتماعه بأخيه في مناسبة العيد^(٧٤):
دنا العيد ليت العيد لم يدن وقته

فقد هاج لي وجداً وزادَ عراما

وذكرني إقباله بمواسم

مضت كن بالشمل النظم كراما

عسى أحرفي تحظى بقربِ مُنى المنى

فَدَنَّتْهُى إِلَى أَهْلِ الصَّفَاءِ سَلَامًا

وصلة أبي عبدالله بأبي بكر^(٧٥) وطيدة وقوية، وقد سجلها ابن عم أبي بكر، صاحب زواهر الفكر، أبو العلاء محمد بن علي بن المرابط، في كتابه، فحفظ لنا سبع قصائد تضاف إلى السابقة تقع في حوالي مئتين وخمسين بيتاً. ومما يجري على غرار القصيدة السابقة، أربع قصائد، ونُقدِر أنها نظمت بعد عام ٦٤٠ وفي أوقات متقاربة، لأنه يتحدث فيها عن دواعي الفراق، وآثاره عليه، وقد رحل الشاعر عن مرسية وطنه بعد سقوطها بأيدي النصارى سنة ٦٤٠، وبرحيله عنها فارق أباه وأخويه، وصحبه المقربين ومنهم أبو بكر بن المرابط .

أما عينيته فهي تمثل أبا عبدالله في شوق عارم، على الأيام المنصرمة، والمغاني المغدقة بحبهم. وهي تصدر عن قلب منفرط، ونفس كسيرة، تودع - في ساعة مروعة - إنساناً ذا مقام جدّ قريب لا يدري أبو عبدالله، لعلها ساعة وداع لا لقاء بعده^(٧٦):

ياليت شعري هل يرى من بعد فرقتنا اجتماع؟
وهل التدداني جابر مني فؤاداً ذا انصداع؟
إنني سألتك ذاهلاً والفكر في كف الضياع

٧٥- لم أقف على ترجمته في المصادر التي توافرت لدي، وهو يبدو من خلال قصائد ابن الجنان من أقرانه، عالماً وقاضياً وفقياً.

٧٦- ٢١/ ١، ٣، ٦ وتتنظر الأبيات ٨، ٩.

وقصيدتاه الثالثة والرابعة طويلتان، تتدرجان في باب المجاوبات، لأنهما جاءتا في الجواب على ما ورد من أبي بكر المرابط والأولى دالية في ثمانية وثمانين بيتاً ومطلعها^(٧٧):

سلام كما قد جاء من ذلك المجدِ

كشمس الصبا جرت ذيولاً على نجد

ويصوره بعيداً عنه، وقد أجم مشاعره ذلك البعد والشَّحط، تحترق أحشاؤه، وتتصور ألماً وحرناً: وتحن حنين الناقة المسنة التي يضرب بها المثل في الحنين، إذ إنه في رحيله عن دياره كان مكرهاً بعد هيمنة العدو على ديار المسلمين، وسقوط مرسية، تحت سلطانه سنة ٦٤٠هـ مما حمل الشاعر على الرحيل:

أحن حنين النيب نحو دياركم

وأشكو، وقلبي في ذراكم، من البعد

فيا لغريبِ الدار لهفان موجع

غريق بماء الدمع ضَمان للموردِ

وإن الذي بي من جوى وصَّابةٍ

مذيبي ولو صُورَت من حجر صلد

ويصور لنا الشاعر العوائق والحواجز التي تحول بينه وبين وطنه وأحبته، إذ إن القصيدة تصوره وقد حال البحر دونه، فقطع أسباب المودة. ويلوح للقارئ أن ابن الجنان نظر إلى رفيق عمره، أبي بكر بن المرابط على أنه رمز من رموز الوطن السليب، ولذلك تفيض عواطفه وتجد في خطابه على هذا النحو:

تسيرها تجري إليك سوابحا

سوابق أمثال المطهمة الجرد

تطير بأجناح الرياح، وتارة

إذا ما ومنت مدت مجاديف للوحد

إن قصائد المجاوبات كانت على صورة فنية تشبه قصائد المعارضات التي شاعت في بيئة الأندلس في بعض دواعيها وغايتها، وفيها يلتزم الشاعر الوزن والقافية، وهو ما يتجلى واضحاً في قصيدته اللامية التي يجيب فيها على رسالة وصلت إليه من أبي بكر بن المرابط في أربعة وعشرين بيتاً ومطلعها^(٧٨):

٧٨- زواهر الفكر ورقة ١٢.

زارت صباحاً ودوخ البان مظلول

عليه نشرها للصّبّ تعليل

وقصيدة ابن الجنان الجوابية تنيف في عدد أبياتها على قصيدة ابن المرابط حيث جاءت في ستة وخمسين بيتاً، وهي لا تختلف في كثير من القصائد الثلاث التي تقدمت، كما تتفق مع سابقتها الدالية في بث الشجون وإسبال الشؤون في وطن الغربة، حيث يصور نفسه هائماً تائهاً، ضلّ طريقه، حيران ظمان في طريق الفراق الموحش (٧٩):

أنا الذي وصلت أسباب وحشته

وليس بي سبب للأنس موصول

وقطع الوجود أحشائي فلي كبّد

نجيها في طول البعد مظلول

ويشير إلى المنتدى الذي كان يجمعهم، منتدى الوزير ابن عصام، ومجالسهم العبة فيه، ثم يختم مورياً ببعض الاصطلاحات الحديثة فيقول:

وحيث "ابن عصام" والندی وطن

قد حلّ فيه من أبناء العلاجيلُ

هذا حديث اشتياقي، وهو مختصر

وربما قيل فيه: القول مملولُ

خذوه عني، صحيح النقل، وهو مختصر

ففي الأحاديث، مقطوع، ومعلولُ

وأخر ثلاث قصائد تتصل بأبي بكر بن المرابط لامية، وهائتيان والأولى
وجهها ابن الجنان إليه بعد مرضه، وأخذه الدواء داعياً له بالشفاء، وفيها يعمق
مفهوم التخفف في زيارة المريض، وعدم الإثقال عليه^(٨٠):

لا يزور الخليل عندي خليلاً

يوم أخذ الدواء إلا ثقيلاً

كيف أصبحت؟ كيف أنت؟ سؤلاً

من بعيد حسبي به تطويلاً

٨٠- ١/٣٢- ٢ وينظر هامش القصيدة.

ولما فرغ ابن المرابط من دوائه، وتمائل للشفاء، أجابه في ثلاثة عشر بيتاً
ملتزماً القافية والوزن:

يا خليلي بل سيدي فهو الحق

—ق رويداً بالله شيئاً قليلاً

وفيها ينكر عليه نسبة الثقل إلى الخليل، لمكانته الخاصة من نفسه حيث يجد
فيه الراحة والشفاء:

أنت والله راحتي وشفائي

فإذا لم أبصرك كنت العليلاً

أما هائيتاه، فمقطعة ومطولة، وهما تتصلان بمناسبة واحدة، والمقطعة بخمسة
أبيات، يهنئ فيها ابن المرابط على قصيدة نبوية ميمية في خمسين بيتاً، مستهلة
أبياتها بلفظة "سلام" ومطلعها:

سلام كما مرّت على الروضة الصّبا

فنمّت بما أخفت صدور الكمام

وتقع التهئة موقعاً حسناً من ابن المرابط
أهدى إلى خير الأنام تحية

مهدي هداه إلى السلام هداه

فيجيبه ابن المرابط معرباً عن حبه إياه:

يا من غدا بجوانحي مثواه

حبا طوى قلبي عليه اللهب

وهي في أربعة عشر بيتاً، يشكره فيها على هديته فيقول (٨١):

أهديت لي ما أرتجي بقبوله

كرم الإله وأن أنال رضاه

وينطوي جواب أبي عبدالله على إعجاب وثناء، إذ يرى فيه قدوة صالحة،

حيث تمضي القصيدة في أبياتها على هذا النهج، فابن المرابط، بحر ومزن، وهو

محي لقلب الشاعر (٨٢)، ألم يقل فيه (٨٣):

الله ألهمه البيان ولو أرى

رأى الغلاة لقلت: بل أوحاه

٨١- ١/٥٠ وينظر هامش القصيدة كذلك.

٨٢- تنظر الأبيات: "١٢، ١٣، ٢٣".

٨٣- ٢٣/٥١.

ويأتي بيت القصيد في البيت الخامس والعشرين، حيث تصل بقية أبيات
القصيدة به وتدور حوله:

فإذا رمى بحكيمةٍ في محفلٍ

حكمت له فيه برغم عداه

فما تكون هذه الحكيمة؟ قصيدة أي قصيدة! تخرس الشعراء، وتتنزع منهم
الإعجاب فيذعن امرؤ القيس وزهير لها .. هي من البلاغة بمكان بحيث تتعشق
الألباب سحر بيانها، وصناعتها تنسي وشي وقماش صنعاء، فهي غائبة عن بديع
الزمان الهمداني مُغفلة عن خطباء العرب ورواتهم، قس وسحبان والأصمعي (٨٤) .

ويجعل حكمه فيما أبدع مناظراً لحكم سميّه (يحيى) عليه السلام على نحو ما
نعته الله في القرآن الكريم (٨٥):

ما الحكم إلا ما نطقت بفضله

الحكم قدماً حازه "يحياه"

أسميّه، لله أنت مباركاً

أسماه ربّ العرش إذ سمّاه

٨٤- تنظر الأبيات: "٢٩، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨".

٨٥- ١ ص/٤١، ٤٢.

وثاني الاثني اللذين أسلس لهما ابن الجنان قيادة شعره، وأسمح الزمان بينهما فتخاطبا واقتربت أشعاره به، ابن عم المتقدم آنفاً العالم الفقيه، أبو العلاء محمد بن علي بن المرابط، صاحب كتاب "زواهر الفكر وجواهر الفقر" الذي عرفنا به سابقاً^(٨٦)، إذ يحرز ابن الجنان عنده مكانة رفيعة ومنزلة سامية، فهو يتفائل بمقاله، ويتبرك بنظمه .. ومجموع ما نظم ابن الجنان مقروناً بأبي العلاء سبعة نصوص سنقف عليها فيما يلي:

في أول كتابه يذكر أنه سأل ابن الجنان أن يقول في ذلك، فيجيبه على البديهية في أحد عشر بيتاً منها قوله^(٨٧):

ابدأ مقالك بالثناء على النبي

جئت محامده عن الإحصاء

ويكسر بقية أبيات القصيدة لمدح النبي عليه الصلاة والسلام، كذلك يفعل حين يسأله أبو العلاء أن ينظم أبياتاً بعد أن أتم تأليف السفر الثالث من كتابه فيرتجل أبياته السبعة مستهله بقوله^(٨٨):

اختم بذكر محمد فبذكره

يذكو شذا مسك الختام ويعبق

٨٦- تنظر ترجمته في الذيل والتكملة ٤٥٣/٦.

٨٧- ١/٢.

٨٨- ١/٢٩.

وحين يجمع الله بين شاعرنا وأبي العلاء في اوربولة، حيث كان الناس يرقبون
نزول المطر، ويرغبون فيه لحاجتهم إليه، يسأله أبو العلاء أن يقول في ذلك
فيرتجل على البديه ستة أبيات^(٨٩):

الغيث في الغيب لا يدري به أحدٌ

إلا الإله الذي يُمنى به السُّحبا

ويعود إلى مخاطبته ثانية بعد رحيله من سبتة إلى بجاية فيقول^(٩٠):

أبا العلاء وأنتَ تدري ما الذي

تَطوي عليه من الوداد ضلوعي

راعيْتُ فيها للوفاء أذمَّةً

إن الوفاء أحقَّ شيءٍ روعي

ويخاطبه في ثالثةٍ من بجاية كذلك في قصيدة وصل بيت منها يقول فيه^(٩١):

٨٩- ٤ / ١ ، ٥ .

٩٠- ٢٥ / ١ ، ٣ .

٩١- ق ٤٢ .

أبـبا العلاء وأنت منى حلة

بمناوبة الإيثار والتكريم

ولا نعرف عن أبي العلاء بن المرابط في الترجمة الوحيدة لابن عبد الملك المراكشي له، أنه كان يقول الشعر، وكتابه "زواهر الفكر" الذي ألفه ليكون مجموعاً شعرياً لكثير من شعراء عصره، يخلو من أشعار له، ولذلك كانت رسائل ابن الجنان من طرف واحد لا كما حصل مع ابن عمه أبي بكر بن المرابط.

وأطول قصائد شاعرنا المقترنة بأبي العلاء، هائيته التي جاءت في واحد وعشرين بيتاً وبمهد لها بقوله:

فسألته أن يكتب لي شيئاً. فقال لي: ما تريد؟ فكتبت له كلمة "الله"، وقلت: اجعل هذه الكلمة الشريفة أول ما تفتتح. فيجيبه إلى ما أراد مفتتحاً باللفظة وخاتماً كذلك بها:

لله أبعثُ رغبتي متيقناً ألا يخيب راغب لله

وتمضي القصيدة في أبياتها مُنصَّبة على بيان إنعام الله على الإنسان وآلائه وأدب الإنسان معه. وفي أبياتها الأخيرة يتحدث عن سلوكه مع الله، فيتبع لفظة الجلالة المسبوقة باللام بالأفعال التالية: ألجأ، آوى، أبسط، أسأل، أدعو .. ثم يختم قصيدته على نحو ما يختم إلهياته بذكر الرسول الكريم وتشفيعه إياه:

لله وسلَّتُ النبي محمداً أكرم بتلك وسيلة لله
لله ما أجدى، تشفع مذنب متشفع بمحمد لله

وإذا كانت قصائده مع أبي العلاء ابن المرابط تدخل في باب الأخويات فقط، لا المجاوبات لأنها كانت رسائل شعرية من ابن الجنان فقط، فإن مما جرى على منوال مراسلات شاعرنا مع أبي بكر بن المرابط التي كانت قصائده أخوية وجوابية كذلك قصائد مع عالمين جليلين من علماء عصره هما: أبو عبدالله عابد الأندلسي^(٩٢) وأبو الحسن الرعيني^(٩٣)، وهي رسائل شعرية نثرية تتطوي على براعة لغوية، إذ علم بأن أبا عبدالله دخل الأندلس وتولى الكتابة لبعض رؤساء الأندلس، فكأنه أراد اختباره وقصد تهنئته لتوليه الكتابة بأسلوب طريف، إذ التزم في رسالته حرف العين في كلماتها أجمع وكذلك الشأن في أبياتها الخمسة التي تسبقها ومطلعها^(٩٤):

يا ظاعناً عنا ظعننا بعصمة ورَجعت معتمداً بعز صاعد

وكان على ابن عابد أن يجيبه ملتزماً ما التزمه، قال ابن عبد الملك^(٩٥): فشاعت هذه الرسالة بالأندلس، وتتوقلت شرقاً وغرباً، وتُحدِّث بعجز ابن عابد عن مراجعة ابن الجنان، فراجعه شيخنا أبو الحسن الرعيني رحمه الله - عاتباً، وزاد التزام العين قبل روي الأبيات الدالية التي افتتح بها هذه المراجعة ومطلعها:

أعِدِّ العهدَ للعميدِ بعطفه تعنى برجعة عَهْدِكَ المتباعد

٩٢- لم أقف على ترجمته فيما لدي من مصادر.

٩٣- تنظر ترجمته في هامش القصيدة ٤٦.

٩٤- قد ١٥.

٩٥- الذيل والتكلمة ٣٣/١/٥.

وهي سبعة أبيات تعقبها رسالة في حوالي ثلاث صفحات .. فماذا يكون من شاعرنا ابن الجنان؟ أجاب الرعيني برسالة مستهلة بقصيدة نونية في عشرين بيتاً، تعقبها رسالة في حوالي خمس صفحات ومطلع الأبيات^(٩٦):

أَتَعْتَبِنِي عَمَادِي عَمَدَ عَيْنِي وَعَيْنِ الْعَذْرِ تَعْرِفُهُ كَعَيْنِي

وإذا كان الرعيني قد التزم في مراجعته السابقة العين، قبل روي الأبيات في قافيته المؤسسة، التزم أيضاً، فان ابن الجنان فاقه حين جعل نونيته المرادفة بالياء مختومة بكلمة "عين" في أبياتها أجمع مستفيداً من سعة اللغة في معاني كلمة "عين". فما يكون من الرعيني إلا أن يجيبه ثانية، مقرأً له بالبراعة والتفوق برسالة في حوالي خمس صفحات مستهلة بثلاثة وعشرين بيتاً مطلعها^(٩٧):

عَلَكَ عَلَتْ عَلَوِّ الشَّعْرَيْنِ

مصاعده لأعلى المطلعين

وهي على غرار القصيدة المجابة، من حيث اختتام أبياتها بكلمة "عين" ويبدو أن هذه المجاوبات الأدبية كان لها صدى في عالم الأدب آنذاك، إذ يُدلي بدلوه

٩٦- قد ٤٦ .

٩٧- الذيل والتكملة ٣٣/١/٥ .

عالم أديب هو أبو المطرف بن عميرة (ت ٦٥٨هـ)^(٩٨)، ويدخل مضمارها معجباً بالأدبيين "الرعيي وابن الجنان" فيجعل ميسم إعجابه بهما رسالة في حوالي صفتين مستهلة بأربعة أبيات يلتزم بحرف النون في كلماتها أجمع، من حيث إن اسميهما يتضمنان حرف النون ومطلع أبياته:

محاسن دنيانا تبين لناظر

يُنقَّب عنها مُتسببنا لعينها

ولم تكن هذه الأحداث السياسية الجائحة، لتدع هذه الأريحية الأدبية في استرسالها تفيض وتغدق، بين هؤلاء الأدباء، إذ إن الرسالة النونية، لم تصل الرعيي - لا ندري إن كان حظ ابن الجنان كذلك - إذ كان اختلال واضطراب الأحداث حائلاً سنة ٦٥٥هـ، عبّر عنه ابن عبد الملك المراكشي بقوله: "فقطعت عن بعثها إليه، ما طرأ في الجزيرة من اختلال وتفرق كان لغير اتصال"^(٩٩)، وقد حفظ المراكشي رسالة الرعيي الموجهة إلى أبي المطرف بن عميرة، يتشوق فيها إلى هذه الرسالة النونية^(١٠٠).

ولكن ما أبعاد رسائل ابن الجنان مع ابن عابد والرعيي؟

واضح أنها كانت مكرّسة لإظهار البراعة الفنية في اللغة والبديع، في تواضع جم لا يفسده عجباً أو تبجح .. إذ إن معاني تلك القصائد كانت تجري في الاتجاه

٩٨- ينظر عنه الدراسة المستفيضة للدكتور محمد بن شريفة، أبو المطرف بن عميرة، حياته وأثاره - ١٩٦٦.

٩٩- الذيل والتكملة ١/٥/٣٤٨.

١٠٠- نفسه ١/٥/٣٥١.

العام لقصائده، التي كرّسها لإجلال القيم الخلقية، وتأصيلها، فهو يعلن عن تواضعه الأدبي فيصف نفسه بالعجز^(١٠١):

وعجزي مُعلِنُ بالعذرِ عني فدعُ عَتبي أيا سمعي وعَيني
وضَعفي عَاقني عن بَعثِ عَينٍ تُعوّضُها بعِقيانٍ وعَينِ

كما أنه يجل ما يأتي من غيره، بعد أن يعترف بقلة بضاعته:

وتُبَدع للمَعالي معجَراتٍ فتطلُعُ للعيونِ شُعاغُ عَينِ
فيما عَلِمًا لإِعلامِ عِظامِ عَلا بِالعِلمِ أَعلى المَطلعينِ

ويختم قصيدته باعتراف جديد ينم عن التواضع كذلك حيث إنه كرّر في بيتين - خطأ- كلمة "رعين"^(١٠٢) قبيلة أبي الحسن التي ينسب لها، أي أن الكلمتين جاءتا بمعنى، كما أنه يعترف بأنه غفلَ عن التزام العين في كلمتين أخريين^(١٠٣).

من أخويات ابن الجنان، بعدما تقدم من استعراض أشعاره مع أبي بكر وأبي العلاء ابني المرابط، وابن عابد، وأبي الحسن الرعيني، ثلاث قصائد دالية ولامية في التهئة بمولود ذكر رزقه الوزير أبو بكر الأصيلي^(١٠٤)، أما الثالثة فهي عزاء ومواساة لوفاة ابن أخيه .. وسنقف عندها في موضع لاحق من الدراسة.

١٠١-٤٦/٣، ٨، ١١، ١٢.

١٠٢- أشار المحقق إلى البيتين "٢، ١٧".

١٠٣- كذلك أشار المحقق، وهما "٢، ١٩".

١٠٤- لم أقف على ترجمته فيما لدي من مصادر.

وداليتة في خمسة عشر بيتاً، يستهلها بقوله، يهنئ .. بطلوع طائر السعد
ومطلعها (١٠٥):

هنئاً به تجلى العلا والمحامد

وأسعد مولود لا مجد والـد

وهي تهنئة ومدح، وإجلال للأصل والفرع، فالمولود أكرم منتم إلى قادة
المسلمين، وهو ابن الأماجد، ورث الأصالة عن أبيه سليل المحتد الرفيع والفضل
والسجايا وحق له أن يفخر ويزهو، وبيارك هذا النسل ويقر عيني أبيه ثم يدعو له
باليسر والسعادة:

وأوجد منه السعد أكرم منتم

إلى "طارق" في المكرمات و"خالد"

له في نصاب المجد والملك نسبة

تنادي بنادي الفخر هل من مماجد؟

ودامت له السراء تعمّر ريعه

فأنصفي من الآمال عذب الموارد

أما قصيدته اللامية فينص على أنها تهنئة بطولع مولود ذكر، كما ينص على أنه يعارض فيها عصريّة الفقيه أبا بكر بن محرز، وقد ساق لنا قصيدة ابن محرز بعدها مباشرة وذكر أنها أيضاً في تهنئة الوزير ولكن بطولع بنت لا ذكر، ومطلع قصيدة ابن الجنان وهي مطولة في ثمانية وستين بيتاً على مجزوء الكامل^(١٠٦):

بالسعد طالعك المهل لطلوعه العلياً تهل

د- شعر الرثاء:

رابع موضوعات الشاعر، من حيث كمية النتاج، على الرغم من قلة عدد قصائده فيه، فهي سبع فقط، لكنها تؤلف نسبة ليست قليلة من مجمل ديوانه، إذ تتميز قصائده بالطول، ومجموع أبياته حوالي أربعمئة بيت، وهي في اتجاهها العام تميل إلى الندب والتفجع، وإظهار اللوعة، والجزع من المصاب الجلل الذي رزئه الشاعر، لكن القصائد لست جميعها بنفس واحد ونبرة متكررة..

تقع غرة قصائده وأطولها، فائيته، في واحد وسبعين ومائة بيت، وهي من البسيط، أطول قصائد ديوانه، وحق للشاعر أن تجود عاطفته وتفيض في مصاب مثل مصابه، ومن مثل الأب صلة بالابن وقد لابتست ظروف وفاة الأب أحداث سياسية أشرنا إليها في موضع سابق عن حياته^(١٠٧):

لا أمنع الدمع أن يهـمى وأن يكفـا

١٠٦- ٣١ / ١، ٦، ١٨، ٣٦، ٤٨، ٥٩.

١٠٧- ٢٧ / ١، ٢، ٤، وينظر (١٠)، ١٦، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧.

ولا أزال بريـع الحـزن معتكفا

وليس بوسعنا أن نلم بأبيات القصيدة جميعها، لكننا سنتوقف عند أبرز
مناحيها، فواضح من مطلع القصيدة، وأبياتها الأولى، تفجع الشاعر ولوعته لهول
المصاب الذي نزل به، ومكانة أبيه الشيخ أثيرة، ورفيعة، ولذلك فهو ينكر على من
يدعوه للصبر، بل يدعو إلى مساعدته على محنته:

فإن رزئي رزء لو بكيـت له

دم الحشا ما كفى لو سال أو كفا

فيا مُريد اصطباري لا ترد شططاً

هيهات تبصرني بالصَّبر متَّصفا

ويروي لنا بأسلوب المأساة، كيف قُصَّ جناحه، وهُدَّ ركنه، وعلى من هبت
رياح المنايا العاصفة:

فصادقتُ أصل إيجادي، وقد نحتتُ

أيامُه عودَه فانهدَّ وانقصَفا

فعود جسمي ذاوٍ من تذكره

فكيف ينعم فرع أصله انجعفا

والمرء جزء أبوه كؤه وإذا

ما أفرد عن كؤيه ضعفا

ويرى أن جبر قلبه ومساعدته على أعباء مصيبتته بالبكاء معه لا دعوته إلى الصبر، ويوضح الشاعر أسباب حزنه المضاعف وجزعه، أن أباه توفى، بعد شوق شديد إلى اللقاء به، فما أمهله القدر إلا أياماً^(١٠٨) بعد لقائه بابنه، بعد عام من الفراق في دار الغربة، وينقل الشاعر بعد أبياته إلى الحديث عن نكبة المسلمين بالأندلس في حوالي عشرين بيتاً، ويبيّن أن الشاعر عاش أزمتين عظيمتين، أزمة مرض أبيه الذي أودى به وأزمة ذهاب وطنه بأيدي الإسبان ورحيله عنه، وفي أزمته الثانية يقول:

يا غربة جرّها، و الدار مكتتب

صرف من الدهر عن أوطاننا صرفاً

إذ صار فيهنّ دين الحق مغترباً

١٠٨- ٥٩/٢٧ حيث يشير إلى أنها كانت تسع ليال.

يرتاعُ إن صدَّ ناب الكفر أو صدفا

فإن كان أمله قد فقد بوفاة أبيه، فإن بصيص الأمل ما زال يراوده في عودة ديار المسلمين إلى حوزتهم، وجلاء الأعداء، لذلك فهو يستتهض الهمم ويحرك العزائم، مباهياً السلف، مشخصاً أسباب ضعف دولة المسلمين، وتكالب الأعداء عليهم^(١٠٩)، ويسترسل شريط الذكريات لديه، يتذكر المجد الزاخر الذي عاشته مدينته المهیضة الجناح، ولكن الحال تغيرت بالبلاد، فحال وجهها، ونزلت النكبة بالإسلام والمسلمين، ودعت كثيراً من أهل الأندلس إلى الهجرة والرحيل، ومفارقة الأحباب والأوطان، وكان واحداً من أولئك الذين هاجروا من مرسية إلى اوربولة .. فينفت حسراته، ويبث لواعجه لفراقه الدار وأهلها، ولكن لا بأس عليه فهو ليس خواراً أو جباناً، كي يخرج بقصد النجاة بالنفس، بل كان خروجه .. فراراً إلى الله:

فإذا رأيت أموراً كلَّها تلف

فررتُ لله كيما آمن التَّففا

ومن قبل استرضى نفسه حين خاطب ابن المرابط بعد رحيله بقوله معللاً^(١١٠):

ويا حبذا الأوطان بالكركه فورقت

لجور جوار الكفر والزمن الوغد

١٠٩ - ٢٩/٢٧، ٣٠/٣٤، ٣٦، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٥١.

١١٠ - ٣٢/١١.

وتلوح لنا حيرته في أزمة نفسية، بدت معاناته منها .. وانتهى به الأمر إلى الرحيل، وبقاء أبيه في مرسية حولاً ..، والابن يحثه على القدوم .. ولكن المرض كان هو العائق، وهي ذي مرسية وما آلت إليه^(١١١)، وينتقل الشاعر إلى نبرة جديدة في قصيدته، ويضرب على وترٍ طريف، بعد أن يسرد مأساته بأبيه، فيتحدث في حوالي ثلاثين بيتاً عن فلسفة الحياة والموت على طريقة المعري في قصيدته المشهورة "غير مجدٍ .." وقد سلك هذا المسلك آخرون من عصر الطوائف أمثال ابن وهبون المرسى (ت ٤٤٨ هـ)، وأبو عامر الشنتريني (من شعراء الذخيرة)^(١١٢)، إلا أن الشاعر لا يبعد في تلك النزعة، إذ سرعان ما يصدر عن نزعة الفقيه الذي يقتفي آثار الشريعة الإسلامية، فالناس في غفلة عن أمرهم، مسرورين لإقبال الدنيا عليهم^(١١٣):

وضاحك ملء فيه لو درى لىكى

دم الفؤاد إذا ما دمعه نَزفا

ويح المقيم بدارٍ وهو مرتحلٌ

ما حلَّ مذ حلَّ رحلاه ولا أكفا

وفي المشهد التالي من هذا الفصل، يحدثنا عن الدنيا في حوالي عشرة أبيات، وخداع الناس بزینتها وبهرجتها، وهي الظل الزائل، الخنّارة، الختالة، الفتانة، القتالة،

١١١ - ٢٧ / ٤٢، ٤٥، ٥٥.

١١٢ - تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين ١٢٩.

١١٣ - ٢٧ / ٨١، ٨٣، ٩١، ٩٧.

الظلمة^(١١٤)، ويعود ثانية ليتحدث عن إرادة القضاء المحتومة، وأنها لا تمهل
أحداً، ويتوجه بالخطاب إلى أخويه للبكاء معه، على المصاب الجلل، ثم يختم
قصيدته ويسدل الستار على مأساته بالدعاء لأبيه، الدعاء الحار، في سبعة أبيات
مستهلة بلفظة "يا رب" ويسأل الله أن يجمع شمل أسرته في دار القرار ويأتي آخر
بيت في القصيدة استسلاماً للقدر واحتساباً للأجر:

يا ربّ إن أبي عبْدٌ ضعيف وقد

أتاك مولى كريماً يرحم الضعفا

وجمّع الشمل في دار القرار لنا

إذ تجمع السلف الأبرار والخلفا

ما إن له ملجأ فيما عراه سيوى

يا "حسبي الله" فيما نابني وكفى

والقصيدة الثانية- في هذا الباب- لا تقل أهمية عن قصيدته المتقدمة آنفاً،
كافية في بحر الطويل، جاءت في واحد وثمانين، في رثاء شيخه وأستاذه أبي
الحسن سهل بن مالك، الذي كان من أعيان مصره وعصره، بارعاً في المنثور
والمنظوم، محدثاً، عدلاً، وافر النصيب في الفقه وأصوله صنّف في النحو كتاباً

١١٤-٢٧/١٠٠، ١٠٧-١٠٩.

على أبواب كتاب سيبويه توفى سنة ٦٣٩هـ^(١١٥)، وتأتي القصيدة مشفوعة برسالة في سبع صفحات مذيّلة بتاريخ تحريرها منسلخ ذي الحجة من عام الوفاة ذاته.

وينحو ابن الجنان في قصيدته منحى الغائية المتقدمة، وينسج على منوالها من حيث إظهار معاني التفجع والجزع الشديد، لعظم المصاب وجلال الرزية^(١١٦):

دعوني وتسكاب الدموع السوافك

فدعوى جميل الصبر دعوة أفك

أصبرٌ جميل في قبيح حوادث

خلعنَ على الأنوار ثوب الحوائك

وإظهار الأسي عند ابن الجنان منهج وشرعة في بيان مقام المؤسو عليه:

فكل أسي لا تذهبُ النفسُ عنده

فما هو إلا من قبيل النّصنع

ولا ريب أن وفاة العلماء مصيبة للعلم وأهله تؤدي بهما، وفي الحديث الشريف: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً، ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم

١١٥- تنظر ترجمته في هامش القصيدة (٣٠).

١١٦- ٣٠/١، ٢.

فضلوا وأضلوا"^(١١٧)، وقد نوه الشاعر بمنزلته الرفيعة التي تجعله في مصاف مالك
والشافعي رضي الله عنهما^(١١٨):

أما قد علمنا والعقول شواهد

بانّ انقراض العلم أصل المهالك

إذا أذهب الله العلوم وأهلها

فما الله للدهر الجهول بتارك

وفي الوقت الذي يؤين ابن الجنان شيخه، ويحدثنا عن جلال علمه، يفزع إلى
الكذب، وينكر أن يصح لديه، خبر انتقاله إلى الرفيق الأعلى دهشة وهلعاً ثم
يشارك الأرض والسماء في مصابه:

لعلك في نعي العلامت كذب

فكم ما حل من قبل فيه وما حل

ويعود ثانية، متحدثاً عن جلال المصيبة في حوالي خمسة عشر بيتاً مستهلاً
أبياته بـ"من" حرف جر تارة، واسم استفهام تارة أخرى، ولا يملك إلا الاستسلام
لقضاء الله المبرم الذي لا مفر منه ولا محيد عنه، وهو الذي أفنى الأمم السابقة

١١٧- متفق عليه، ينظر اللؤلؤ والمرجان ١٨/٣، (ط عيسى الحلبي القاهرة).

١١٨- ٣٠/٩، ١٠، ٢٣، ٢٦، ٣٣.

واخترمها، ولو أنه راقب أحداً، ووقّره لكرم مقامه، أو لطول إقامته لراعى محمداً
(صلى الله عليه وسلم) أو نوحاً عليه السلام .. ويُعرب عن شدة ألمه لما دهاه،
وأن العزاء لا يسوغ في أمثال شيخه، ثم سرعان ما يعود عن هذه النبرة إلى أسلوب
ينكر فيه البكاء في صورة من صور الصحوة، للمقام العلي الذي أحرزه
المرثي (١١٩):

فكيف أعزّي والتّعزّي محرّم

عليّ ولكن عادة آل مالك

فيا عجباً منّا، نبكّي مهتّأ

تبوّأ داراً من جوار الملائك

ويختم قصيدته بالدعاء لشيخه بشأبيب الرحمة، ولنفسه بالطمأنينة والسكينة:

فيا رحمة الرحمن وافي جنبه

ويا زوجه سلّم عليّ وبارك

وثلاثة الاثافي داليتيه في بحر الكامل، في واحد وخمسين بيتاً في رثاء

امرأة - لا نعرفها - يعزي أباها ومطلعها (١٢٠):

١١٩- ٣٠/٦٦، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨٠.

١٢٠- ١٠/١، ٨، ٩، ١٦، ١٧.

جمع بنيـران الضـلوع يصـعد

هـذا يسـحّ وهـذه لا تُخـمـدُ

وتأتي قصيدته عازية سابقتها، تفجعاً وهلعاً، حتى إنه يسوغ ذلك ويحسنه،
ويجده محموداً في مثل هذه المواطن، وله في رسول الله صلى الله وسلم، أسوة
حسنة:

لو كان ذلك ما بكى أحبابه

جزعاً لفقدهم المباركُ أحمدُ

نبكي بكاءً ترحم كبكائه

ونقول ما يُرضي الإله، فنسعدُ

ويوالي في ألفاظ الحزن مستخدماً لفظة "نبكي" في سبعة أبيات، مؤبناً إياها
بذكر محاسن ومكارم أخلاقها، وهي المرأة القانتة الكثيرة البرّ والإحسان:

نبكي التي لو تُفتدي سمحت لها

نفس بها وبكلّ ما تحوى اليدُ

نبكي الفقيرة أنها ما مثها

فيهما مذهب التأبين. ونبدأ بالميمية التي وجهها إلى الوزير الأجل أبي بكر الفصيلي، وفيها يعزبه في ابن أخيه، أبي بكر يحيى بن سليم، وهي طويلة النفس، بلغت أبياتها سبعة وسبعين بيتاً، اختار لها بحراً مضطرباً، وهو الرمل واختار من الرمل مجزوءة ومطلعها (١٢٣):

حسبي الله، أحقأ مات يحيى بن سليم

والقصيدة تذكر بالكافية المتقدمة آنفاً، في رثاء شيخه أبي الحسن سهل بن مالك، فهو يرثي كاتباً من كتاب عصره، وإذا كان شيخه قد أعرب عن صفته ومؤهلاته فظهرت عطاياها العلمية مع طول عمره، فإن ابن سليم اعتبط شاباً، وقد بدت مخايل النجابة والسبق والبر. وسابع قصائده لاميته في اثني عشر بيتاً (١٢٤)، وليس واضحاً من وجهت له القصيدة.

٥- السمات الفنية:

يتجلى من سيرته التي تقدم فيها الحديث آنفاً أن ابن الجنان كان من ذوي المواهب المزدوجة فقد رفع لوائي الشعر والنثر، وبرع فيهما، وإذا كانت دراستنا منصرفة إلى شاعريته وشعره، فإن الإنصاف يقتضي أن ننوه بنثره، فقد كان معدوداً في أعلام النثر في عصره، وحجم النتائج الذي خلفه وجودته شاهدان على ذلك (١٢٥).

١٢٣-٤٣ / ١، ١٨، ٢٣، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٥٥.

١٢٤- ق ٣٤.

١٢٥- ينظر في خطبة: نوح الطيب ٧/٤٢٣، ٤٢٦، وفي رسائله: ٧/٤٠٦، ٤١٧، ٤٢٤، الذيل

والتكملة ٤/١٠٨، ١١٤، كذلك ١/٥، ٣٢٧، ٣٣٤، زواهر الفكر (خ) ١/١٦٩-ب.

وإذا كان الشعر بالعلماء يزري، فإننا نراه قد أجلّ من شأن شاعرنا ورفع قدره، ولذلك لم يجد معرة أو عيباً في معاناته الشعر ومقاساته إياه، بل واستنكثاره منه، وكذلك نجد أن علماء عصره، هم الآخرون، ممن عني بنظم الشعر وقرضه دون أن توجه لهم تهمة بأن أشعارهم (أشعار علماء) ليس فيها شيء جارٍ عن اسماح وسهولة على نحو ما أصدر ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) حكمه في شعر العلماء^(١٢٦). وهو حكم لا يقوم على استقراء أشعارهم بشكل دقيق والتعرف على جيدها^(١٢٧)..

لقد أعجب القدماء بشاعرية أبي عبدالله وصرّحوا بذلك في غير موضع، وكنا قد سقنا تلك الأقوال حين تحدثنا عن حياته وسيرته^(١٢٨).

ومن دراستنا لأشعاره نجده شاعراً مطبوعاً، "يسمح بالشعر ويقتدر على القوافي، ونتبين على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر"^(١٢٩) على نحو ما يحدد ابن قتيبة مفهوم الطبع.

ولا نجد في هذا المفهوم ما يتنافى مع عناية الشاعر بالصيغ والصوغ في أشعاره على نحو ما نرى في عدد من قصائده ومنها داليتها التي يستهلها بكلمة (سلام) ويبدو لنا - لأول وهلة- أنها أدخلت في باب التكلف هي وما يماثلها، ونجده في موضع آخر يقول الشعر على البداهة، حيث يجد في نفسه رغبة في القول، أو حين يقترح عليه من ساعته، وقد نصّ مؤرخو الأدب على ذلك في قصائد عديدة^(١٣٠).

١٢٦- الشعر والشعراء ١/١٦.

١٢٧- ينظر على سبيل المثال أبيات الخليل بن أحمد (الذي عابه ابن قتيبة) في إنباه الزواة ١/٤٣.

١٢٨- ينظر ص ٧ من البحث.

١٢٩- الشعر والشعراء ١/٣٤، وينظر تاريخ النقد الأدبي ١٠٩.

١٣٠- تنظر قصائده رقم ٢، ٤، ٨، ٢٩.

وإذا كان أبو عبدالله شاعر المديح النبوي في عصره، الذي لا يجارى، فإن قصائده جاءت جذعاً متفرعاً من شجرة المديح النبوي بكل خصائصها وسماتها الفنية، في عناية متناهية بصياغتها، وأسلوبها، ومعانيها. أفكان المديح النبوي في الأندلس صدى لصنوه في مشرق العالم الإسلامي - حيث كثر شعرائه هناك بشكل واضح- أم أنه وافق من عوامل الازدهار في الأندلس مثل ما وافق في المشرق؟

إن مما لا شك فيه أن هذا الفن اتصل - في شيوعه في المشرق - بالأحداث السياسية واقترب بدخول الإفرنج ديار الشام ومصر حيث عجزت وسائلهم المادية الضعيفة عن الدفاع، ورد الغزاة الباغين فالتجأوا إلى الله ورسوله (١٣١) .. كأنهم يدفعون غائلة الأعداء بأضعف الإيمان، بالتضرع والدعاء، كذلك اقترن ازدهار هذا الفن بتهمج الإفرنج على الدين الإسلامي، والرسول عليه الصلاة والسلام، فانبروا يردون عليهم ويناقشون عقيدتهم (١٣٢).

ولم يختلف الأمر في الأندلس عن شقيقتها بلاد المشرق لأنها هي الأخرى نالها ما نال، من هجمة الإفرنج والإسبان منذ عهد مبكر، وأحدثت ببلادهم المحن والفتن والغارات والويلات فانتهى بهم الأمر إلى اللجوء إلى جناب الرسول الكريم، وحضرته الشريفة المباركة، فعل من ليس لهم بد، في تجاوز حالهم إلى الأفضل ... ووجدت عواطفهم ومشاعرهم القوية، التي تعرف قدر العقيدة الإسلامية، ومقام الدين، ومنزلة الرسول الأمين متنفساً ومتفرجاً ... فانداحت عن المواجهة المباشرة باستخدام الأساليب المادية - إلى التعبير عن حب الرسول (صلى الله عليه وسلم) والاستغاثة به ليدفع عنهم الضير، وحين اشتدت هجمة الإسبان العنيفة فيما بعد

١٣١- مختصر تاريخ العرب ٢٨٦.

١٣٢- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ٥١٦.

بسقوط غرناطة آخر معقل إسلامي في الأندلس لم يكن بوسعهم مدح الرسول الكريم باللغة العربية لأن ذلك حرم عليهم فجاءت مدائح نبوية باللغة الإسبانية (اللاتينية)! (١٣٣).

وإذا نظرنا في قصيدة المديح النبوي عند ابن الجنان، وجدنا فيها استبطاناً لمفاهيم كثير من الآيات والأحاديث، يدرجها درجاً ضمن أشعاره مستخدماً الاقتباس الإشاري، بحيث تختفي للوهلة الأولى خيوطه الذهبية التي يطرز بها نسيجه الشعري لأنها تمتزج باللحمة والصداء، وهو يمضي على منهج شعراء الأندلس في هذا المجال، المنهج المنبثق من التأثر بالمذهب المالكي (١٣٤) المتمثل في كراهة الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر اقتباساً مباشراً يتجلى ذلك بوضوح في منظومه الشعري وفي قصيدته المباركة الشريفة في كثير من أبياتها (١٣٥).

ومن المفاهيم التي شاعت في شعر المديح النبوي بالمشرق، فكرة الحقيقة المحمدية (١٣٦) أو النور المحمدي وهي تقوم على أساس الاعتقاد بأن أول ما خلق الله محمداً، فأعلمه النبوة وبشر بها، وقد تسربت هذه الفكرة إلى شعراء الأندلس وكان ابن الجنان أحدهم، فمن ذلك قوله (١٣٧):

سلام على النور الذي كان كامناً بآدم إذ خرَّ الملائك سُجداً

١٣٣- تاريخ الفكر الأندلسي ٥١٦، تاريخ الموسيقى الأندلسية ٩٣، القصيدة المباركة الشريفة (مجلة الرسالة الإسلامية) العدد ١٧٦ سنة ١٩٨٤ ص ٩٨.

١٣٤- الاتجاه الإسلامي ٤٨١.

١٣٥- تتظر على سبيل المثال ما اقتبسه في القصيدة (٩) من القرآن الكريم (١٣، ١٤، ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٣) ومن الحديث الشريف (١٧، ١٨، ١٩، ٢٠).

١٣٦- التصوف الإسلامي، زكي مبارك ٣٢٠/١، الشعر العربي في العراق - العبود - ٢٧٨، وينظر فصول في الشعر ونفده، د. شوقي ضيف ٢٢٩/٣ - ٢٥٤.

١٣٧- ق ١٨/٩، وتتنظر ق ٦/٣٨.

وإذا انتقلنا من موضوع المديح النبوي إلى موضوعات الشاعر الأخرى فإننا نجدها وثيقة الصلة بمفردات حياته اليومية تُنبئ عن معاشة لتفصيلاتها خطوة خطوة على نحو ما ترى المدارس النقدية الحديثة في عدم البعد في موضوعات الشعر عن حياة الشاعر والمجتمع التفصيلية، ولنا في ذلك أمثلة كثيرة، وهذه الناحية تنبئ عن صدق التجربة الشعرية لدى الشاعر لأنه كان أبعد الشعراء عن التكلف في شعره، فأنت لا تواجه شاعراً يمدح الملوك والأمراء، ويستحذي بقصد العطاء والنوال، ذلك ما يتعذر الوقوف عليه، وجلّ ما يرد في هذا المجال مقرون بأترابه ولداته الذين بادلوه الحب والمودة.

ويتجلى في قصائده مظهر آخر دعا إليه النقد الحديث هو الوحدة الموضوعية في القصيدة الشعرية، إذ كثيراً ما تأتي القصيدة عنده في موضوع واحد وربما انتقل فيه إلى موضوع آخر لصيق الصلة به، فقد يخرج من موضوع الإلهيات إلى النبويات، كما ينتقل من شعر الآداب والأخلاق إلى شعر الأخويات مهناً أو معزياً، فلا تجد في تنقله بين الموضوعين اضطراباً أو نفوراً.

اللغة والأسلوب:

نلاحظ في لغة ابن الجنان الشعرية أنه يعتمد على نمطين مختلفين في أسلوب النظم هما:

١- لغة سهلة ميسورة، وأسلوب تقريرِي يعتمد لغة التخاطب القريبة من لغة النثر منها إلى اللغة الشعرية، وكأنه بذلك يريد أن يقرب أشعاره إلى أكبر عدد من الناس الذي يتفاوت مستواهم الثقافي^(١٣٨) لا سيما في مجال أشعاره في المديح

١٣٨- المديح النبوي ٤٧٦، القصيدة المباركة ١١٧.

النبوي وهي سمة ملاحظة على شعر الزهد بشكل عام، ولدينا أمثلة على ذلك كثيرة، فمن ذلك قوله (١٣٩):

يا من تقدّس عن أن يُحيط ووصفٌ بذاته
ومن تعالي جلالاً عن مُشبهٍ في صفاته
ومن قبولٍ ثنائي إليه أسنى هباته

أو من مثل قوله (١٤٠):

يا ربّ بأبغ سلامي لأحمدَ ذي الشِّفاعة
لخاتم الرّسل أعني إمام تلك الجماعة

وتتجلى هذه الظاهرة بشكل أوضح في قصائده التي كان يرتجلها وقد تقدمت الإشارة إلى بعضها آنفاً.

٢- لغة جزلة متينة الألفاظ، وأسلوب متماسك التراكيب، يعتمد فنون البلاغة لا سيما البديع كالجناس، والطباق، والمقابلة، والتكرار، ولزوم ما لا يلزم، ومحبوك الطرفين، ورد الأعجاز على الصدور، وما إلى ذلك، ومن أمثلة فنون البديع ما جاء في الجناس في أبياته التي يقول فيها (١٤١):

تذاكرن ذكرى أو تهيج اللواعجا فعالجن أشجاناً يكاثرن عاججا

١٣٩- ق ٥ / ١-٣.

١٤٠- ق ٣ / ١-٤.

١٤١- تنظر ق ٦ / ١، ٤، ٦، ٧.

لهن من الأشواق **حاد** فإن ونت
تراهم سواماً من **سراهم** أصبحوا
لهم من **منى** أسنى **ولدى الصفا**
حداة يرجعن الحنين أهزجا
رسوماً على تلك الرسوم عوالجا
يرجون من أهل **الصفا** المناهجا

ويلاحظ ظاهرة التجنيس في أبيات قصيدة أخرى بشكل يدعو إلى الإعجاب
بتقافة الشاعر فيما ساقه من أمثلة كثيرة وقد استخدم الطباق في بعض أبياتها كما
في قصيدته التي **مطلعها** (١٤٢):

عيون النهى بين التدبير والفكر
جَلَبَنَ الهدى من حيث أدري ولا أدري

ومنها:

فهمت بمحبوب **فهمت** كماله
له **المثل** الأعلى فلا نِدَّ مُشْبِهٍ
قريب **مجيب ظاهر** وهو **باطن**
وصول به نلت الوصول إلى الفتى
فلم يلتفت إلا لحضرته **سِرِّي**
ولا **مثل** في فضل تسامى عن الحصر
وجل **جلالا** عن **حجاب** وعن **ستر**
وفي وصوله **صرّحت** للغير **بالهجر**

ويستخدم الشاعر ضرباً من أضرب الجناس هو "الاشتقاق" أو "التام" في نحو

قوله:

١٤٢- تنتظر ق ١٦/٧، ١٠، ١١، ١٨، ٢٢، ٣٠، ٣٣.

وتنتظر أمثلة أخرى في قصائد الديوان ق ٣٠/٢٣، ٤٧، ٤٩، ٦٠، وكذلك ق ٦/٩، ١١، ١٤،
١٥، ١٧، ١٨ وكذلك ق ٤٣/٧٤، ٧٥، ٧٦.

يا ليت شعري ما الذي هو طالب ويا ليت شعري عن هواه وعن شعري
معتقةً كم اعتقدت عبدَ غيرها كم ملكت في ذل العتق من حُرِّ
نداؤهم أن مسَّ مسَّ من الجوى جوانحهم، رحماك يا كاشف الضر
يزيدهم حباً لها فيـرينهم بما زدا من قبل الكرامة والبر

وما لنا نذهب بعيداً في تتبع ظاهر الجناس بأنواعه، ودوننا قصيدته العينية، فإنه فضلاً عن تكراره حرف العين في جميع ألفاظها استخدم كلمة (عين) في قوافيها أجمع، وفي ذلك تتمثل ظاهرة الجناس بين أبيات القصيدة، كل بيت مع الذي يليه، إذ إن هذه "الكلمة" ذات معانٍ كثيرة، وهي في كل مرة ترد بمعنى مختلف ومطلع قصيدته^(١٤٣):

أتعتبني عمادي عمد عين وعين العذر تعرفه كعيني

ومن الظواهر الواضحة^(١٤٤) في لغة ابن الجنان ظاهرة التكرار، وذلك بأن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو

١٤٣- ق ٤٦ / ١ - ٢٠.

١٤٤- أقدم من اعتمد التكرار في نظم الشعر الشاعر الجاهلي الحارث بن عباد في قصيدته التي يرثي فيها ابن أخيه بجبر وعدد أبياتها ست وثلاثون بيتاً مطلعها:

كل شيء مصيره للزوال غير ربي وصالح الأعمال

وفيها يكرر (قرباً مريبط النعمة مني) أربع عشرة مرة، و(قرباها) ثلاث مرات، فيكون المجموع سبع عشرة مرة، ينظر أخبار المراقبة ص ٢٥٩ وأيام العرب في الجاهلية ١٦١.

وقد ورد التكرار في قصيدة لابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢هـ) يمدح بها جعفر بن علي وهي في

أحد عشر بيتاً ومطلعها:

أليلتنا إذ أرسلت وارداً وحقا وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنقا

وفيها يكرر (كان) خمس مرات (الذخيرة ١/٣/٥٠٨). =

الوعيد^(١٤٥)، ونرى أن الشاعر في تكراره أراد تأكيد المدح لا سيما في باب التعظيم والتوقير في خطاب الجناب النبوي، أو في خطاب الله عز وجل، وهي ظاهرة تبدو في أكثر من قصيدة وأشهر قصائده في هذا الباب قصيدته التي مطلعها^(١٤٦):

= كذلك الصحاب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) ففي ديوانه قصيدتان: الأولى في أربعة وستين بيتاً جميع أبياتها على صورة حوار، صدر البيت: قالت، وعجزه: فقلت. وهذا الفن يسمى "رد العجز على الصدر" وأما الثانية ففي تسعة وأربعين بيتاً جميع أبياتها تبدأ بـ(أنت الذي) (ديوانه رقم ٢، ٨).
ومن شعراء الأندلس أبو إسحاق اللبيري (ت ٤٥٩هـ) له قصيدتان يلتزم فيهما لفظة القافية فيجعلها مرة لفظة الجلالة (الله) وأخرى لفظة المهابة (النار) (ديوانه ٦٥، ٩٠) مطلع الأولى:

يا أيها المغتر بالله فر من الله إلى الله

ومطلع الثانية:

ويل لأهل النار في النار ماذا يُقاسون من النار

وفي كتاب العاقبة (ورقة ٢٩٤) لابن الخراط (ت ٥٨١هـ) قصيدة غير منسوبة يحذو فيها الشاعر حذو اللبيري، فيكرر فيها لفظة (النار) في أبياتها، وهي في ثلاثة وعشرين بيتاً وفيها تكرار لعبارة (أما سمعت) في تسعة أبيات ومطلعها:

أما سمعت بأهل النار في النار وعن مقاساة ما يلقون في النار

ولأبي القاسم عبدالرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ) قصيدة في ثلاثة وأربعين بيتاً عرفت باسم الغارة، بناها على لفظة الجلالة (الله) (الغارة المباركة مخطوط ورقة ١) ومطلعها:

يا غارة الله جدي السَّير مسرعةً في حلِّ عقدتنا يا غارة الله

وممن مضى على هذا النهج أبو بكر بن المرابط (عصري ابن الجنان ومزمانه) في قصيدتين الأولى في اثنين وأربعين بيتاً والثانية في خمسين بيتاً، التزم بداية أبيات الأولى، بعبارة (صلى الإله) وأما الثانية، فكرر فيها كلمة (سلام) (زواهر الفكر ورقة ١٤٠ - ١٤١) مطلع الأولى:

صلى الإله على نبي خصه متأخراً بخصائص التقديم

ومطلع الثانية:

سلام كما مرت على الرّوضة الصّبا فتمت بما أخفت صدور الكمائ

١٤٥- تحرير التحرير ٣٧٥، العمدة ٥٩/٢، المثل السائر ١٥٧/٢، الإيضاح ١٩٧/١، الخزانة (لابن

حجة) ١٦٤.

١٤٦- ق ٩.

سلام على من جاء بالحق والهدى ومن لم يزل بالمعجزات مؤيداً

وهي في مائة وأربعين بيتاً التزم كلمة "سلام" في مطلع أبياتها جميعاً (وهذه اللفظة ذات دلالتين عميقتين لغوية واصطلاحية، فهي اسم من أسماء الله الحسنى، وهي الجنة دار السلام، ولذلك تحمل (سلام) نكرةً دفناً معنوياً ودفقاً من الطمأنينة والاستقرار وتتصل اللفظة بحرف الجر، يليه اسم موصول (على من) يطرد هذا في أكثر أبيات القصيدة^(١٤٧).

وفي هذا الاتجاه تأتي قصيدتان أخريان للشاعر، الأولى في اثنين وعشرين بيتاً، يلتزم عبارة (صلوا على) في سبعة أبيات منها ومطلعها^(١٤٨):

صلوا على خير البرية خيما وأجل سن حاز الفخار صميما

وفي مخمسته يلتزم عبارة مماثلة هي (صلوا عليه وسلموا تسليما) ويجعلها الشرط الخامس من كل بيت ومطلعها^(١٤٩):

اللـه زاد محمداً تكريماً
وجباه فضلاً من لدنه عظيماً
واختصه في المرسلين كريماً

ذا رافة بالمؤمنين رحيماً صلوا عليه وسلموا تسليماً

١٤٧- القصيدة المباركة الشريفة ص ١١٦.

١٤٨- ٣٧ / ١ - ٧.

١٤٩- ق ٣٨.

وترد هذه العبارة منسجمة مع تفعيلات بحر الكامل ولذلك استخدمها عدد من الشعراء^(١٥٠). ومما يفتن بذكر الله وتمجيده فائيته التي جاءت في مئة وواحد وسبعين بيتاً يكرر في سبعة أبيات من آخر القصيدة فيها عبارة يارب ومطلعها^(١٥١):

لا أَمْعُ الدَمْعُ أَنْ يَهْمِي وَأَنْ يَكْفَا وَلَا أزالُ بِرِيعِ الحُزْنِ مُعْتَكِفَا

وتأتي هائيته في واحد وعشرين بيتاً مستهلة بلفظة "الله" ومختومة بها كذلك ومطلعها^(١٥٢):

لله أبعث رغبتي متيقناً ألا يخيب راغب الله

وهذا الضرب من النظم يطلق عليه البلاغيون (رد الأعجاز على الصدور) والمقصود به أن يجعل اللفظين المكررين أو المتجانسين في آخر البيت والآخر إما في صدر المصراع الأول، أو صدر المصراع الثاني^(١٥٣).

وفي اتجاه التكرار في الألفاظ والحروف تتميز قصيدة للشاعر من عشرين بيتاً التزم بلفظة عين في قوافي أبياتها جميعاً على سبيل الجناس، كذلك التزم في ألفاظ أبياتها حرف العين، وأشرنا إليها آنفاً^(١٥٤).

وكذلك تأتي داليته حيث يلتزم في أبياتها الخمسة حرف العين ومطلعها^(١٥٥):

يا ظاعناً عنا ظعنْتَ بعصمةٍ ورَجعتْ معتمداً بعزٍ صاعد

١٥٠- المديح النبوي ص ٤٩٤.

١٥١- ق ٢٧.

١٥٢- ق ٥٢.

١٥٣- جواهر البلاغة ٤٠٨.

١٥٤- ق ٤٦.

١٥٥- ق ١٥.

وفي مجال تكرار الحروف نلقى للشاعر قصيدة كافية طويلة النفس في رثاء
 شيخة يعتمد فيها على تكرار (من) الاسم الموصول في اثني عشر بيتاً ثم يكرر
 حرف الجر (من) في ثلاثة أبيات ومطلع القصيدة^(١٥٦):

دعوني وتسكاب الدموع السوافك فدعوى جميل الصبر دعوة آفك

ولا يفتأ الشاعر عن نزعتة المتشبهة بالتكرار في قصائد أخرى يعتمد تكرار
 الألفاظ فيها في البيت الواحد من مثل قوله في وصف الذات الإلهية^(١٥٧):

تتزه عن إدراك، إدراك واصف	فللعجز في الإدراك يجري الذي يجري
له الكل مني بل هو الكل وحده	فما أنا؟ لا أدري، حري ولا أدري
فيا ليت شعري ما الذي هو طالب	ويا ليت شعري عن هواه وعن شعري

ومما يتصل بتكرار الحروف ظاهرة معروفة في الشعر العربي، هي لزوم ما لا
 يلزم فقد جاء ذلك في قصيدته الجيمية التي جاءت في ثلاثة عشر بيتاً التزم فيها
 حرف الراء قبل الروي ومطلعها^(١٥٨):

إذا ما علا يأسى يغالب لي الرجا ويحجب من ربا الرضا ما تأرجا

١٥٦- ق ٣٠.

١٥٧- ق ١٦ / ٩، ١٦، ١٨.

١٥٨- ق ٧.

ومن فنونه البلاغية ما يسمى في علم البديع بـ(محبوك الطرفين) وذلك أن يجعل أبيات القصيدة مبتدأة ومختمة بحرف واحد من حروف المعجم فمن ذلك قصيدته التي التزم فيها حرف الشين في عشرين بيتاً، ومطلعها^(١٥٩):

شغفت منها بمن حل الشغاف ومن بين الحشا وسواد القلب يفترش

ولنا أن نتوقف عند بناء القصيدة لدى الشاعر بعد أن درسنا موضوعاتها ومعانيها وفنونها، يشير الدكتور ناظم رشيد إلى أن قصيدة المديح النبوي ذهبت مذهبين^(١٦٠):

١- ابتداء القصائد بالغزل بالمؤنث وأحياناً بالذكر.

٢- ذكر أماكن الحجاز والتشبيب بها.

ويبدو أن المديح النبوي عند شاعرنا خالف المذهبين المذكورين، وشرع طريقة خاصة به ومنهجاً مختلفاً عن صنوه، وهو بذلك على درجة من النقاء والصفاء، بعيداً عن التأثيرات المشرقية، إذ لم يكن استهلال بأي الضربين في قصائد ابن الجنان ... وجاءت قصائده محافظةً على وحدتها الموضوعية...

تفاوتت القصيدة عند الشاعر في تعداد أبياتها بين المقطعات^(١٦١) والمطولات فمن الدراسة الإحصائية لقصائده الأربعة والخمسين نجد سبعة وعشرين نصاً في باب المقطعات أي حوالي نصف قصائد الديوان، وجاءت سبع عشرة قصيدة تتراوح أبياتها بين أحد عشر إلى ثلاثين بيتاً، بنسبة ٣١%، أما بقية قصائده فهي

١٥٩- ق ١٨.

١٦٠- المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية، بحث في كلية آداب الرائدنين ص ٤٤٣، ٤٣٦.

١٦١- اختلف في تحديد أبيات المقطعة فمنهم من جعلها في سبعة ومنهم من جعلها عشرة، (العمدة ١/١٨٨).

مطولات تجاوزت الثلاثين، وكانت أطولها كافيته في ١٧١ بيتاً والجدول التالي يوضح هذا الموضوع:

نوع النص	عدد أبياته	عدد النصوص	النسب المئوية
مقطعات	١-١٠	٢٧	٥٠,٥%
قصائد	١١-٣٠	١٧	٣١%
مطولات	٣١-١٧١	١٠	١٨,٥%

وقد لاحظنا صلة بين عدد الأبيات وموضوع القصيدة حيث يميل الشاعر في شعر الإلهيات وبعض النبويات والمناسبات والشعر المرتجل إلى المقطعات بينما تأتي قصائده في الرثاء وشعر المجاوبات طويل النفس.

ومما يتصل ببناء القصيدة عند ابن الجنان، نجد ضرورياً من التقنن في قصائده، فهو يعمد بأن يجعل قصيدته تذيلاً لبيت المتنبي الذي يعتمد فن (محبوك الطرفين) وهو^(١٦٢):

شمس سلوح لها وجه تروق به

ما شأنه كلف فيه ولا نمش

١٦٢- ينظر هامش القصيدة (١٨).

وكذلك يروق له أن يذيل بيتين نظمهما أبو الفرج بن الجوزي كان قد نظمها
ارتجالاً، بمقطعة من خمسة أبيات (١٦٣) .

ويسلس القياد لشاعريته في باب المعارضات، فيعارض بعض شعراء عصره
وبعض من تقدم عليه، وأبرع قصيدة لديه، جاءت في خمسة وأربعين بيتاً في
معارضته رائية على بن الجهم التي مطلعها (١٦٤):
عيون المها بين الرصافة والجسر

جَلِبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

كما يعارض مزامنه ابن محرز في قصيدته التي جاءت في عشرين بيتاً
ومطلعها (١٦٥):

بالسعد أوردَ سعده لا وانياً ولا مشتمل

بقصيدة في ثمانية وستين بيتاً.

وفي باب المخمسات، تأتي قصيدة نبوية واحدة في تسعة وعشرين بيتاً، لكننا
نجهل صاحب الأبيات التي خمسها شاعرنا (١٦٦) .. ونجد للشاعر في أنماط
القوائد قصيدة تقريظية يقرظ فيها خمسة لأبي العلاء إدريس القرطبي
(ت ٦٤٧هـ) (١٦٧):

١٦٣- ينظر هامش القصيدة (٤٥).

١٦٤- ينظر هامش القصيدة (١٦)

١٦٥- ينظر هامش القصيدة (٣١).

١٦٦- ق رقم ٣٨.

١٦٧- ينظر هامش ق (٥٤).

أهلاً بكم يا أهل هذا النادي

أهل اعتقاد الوعد والميعاد

أهدوا الصلاة إلى النبي الهادي

وصلوا السلام له مع الأباد

يندى نسيماً مذكراً تسنيماً

وقد كانت لنا وقفة عند ضرب آخر من قصائده يأتي ضمن موضوع تميز به الشاعر هو شعر الأخويات، يعرف بشعر المجاوبات، وهي قصائد تشبه قصائد المعارضات في نزعتها لكننا لاحظنا أن الشاعر لا يلتزم دائماً بعدد الأبيات في القصيدة المجاوبة فأحياناً يأتي جوابه على قصيدة من خمسين بيتاً بخمسة أبيات، وأحياناً يجيب قصيدة من أربعة عشر بيتاً في ثلاثة وسبعين بيتاً ... وأحياناً أخرى يتقارب العددان.

وأما الأوزان والقوافي، وهي العنصر الرئيس في الموسيقى الشعرية، وكنت عرضت في دراستي للغة الشاعر إلى فنون البديع ومنها، الجناس، والتكرار بضرابه المختلفة، ومحبوك الطرفين، ورد الأعجاز على الصدور ولزوم ما لا يلزم، وكلها تعتمد على تكرار حروف أو ألفاظ بأنماط مختلفة .. ولها دور واضح في الموسيقى الداخلية للقصيدة الشعرية...

ومما يكمل الوقوف على الجانب الموسيقي في ديوان ابن الجنان، الأوزان والقوافي المستخدمة في قصائده، فمن الدراسة الإحصائية لهذه الأوزان نلاحظ أن الشاعر لم يحقق تنوعاً كبيراً في أوزانه التي استخدمها في الديوان حيث لم يستخدم إلا أقل من نصف بحور الخليل بن أحمد بنسبة ٤٣% حيث أفاد من سبعة بحور فقط من مجموع ما نظم، من مجموع البحور الستة عشر، والبحور المستخدمة هي (الطويل والكامل والبسيط والوافر، والمجتث والخفيف والمنسرح) فضلاً عن مجزوات البحور..

وقد حققت البحور الطويلة الهادئة نسبة راجحة بين البحور التي استخدمها هي (٧٥%) إذ جاء أربعون نصاً منها في (الطويل والكامل والبسيط والوافر) وكانت أكثر هذه البحور استخداماً هو الطويل والكامل حيث نظم في كل منها أربعة عشر نصاً وهما يؤلفان نسبة ٧٠% من البحور الهادئة ونسبة ٥١% من مجموع البحور المستخدمة لدى الشاعر يلي هذين البحرين البسيط والوافر.

أما البحور القصيرة والسريعة المضطربة فهي لا تمثل إلا ٢٥% من بحور الديوان وهي ثلاثة، المجتث جاءت فيه أربعة نصوص، وفي الخفيف نصابان وفي المنسرح نص واحد، ومجموع هذه البحور تؤلف نصف البحور القصيرة التي استخدمها الشاعر، والنصف الآخر استخدم فيه الشاعر مجزوات البحور، وهي مجزوء الكامل خمسة نصوص ونصابان لكل من مجزوء الوافر ومجزوء الرمل، وبذلك يتقدم بين الأوزان القصيرة مجزوء الكامل ثم يليه المجتث فالخفيف .. تتجلى هذه النتائج من الجدول التالي:

أنواع البحور

البحور القصيرة		البحور الطويلة	
عدد القصائد	البحر	عدد القصائد	البحر
٤	المجتث	١٤	الطويل
٢	الخفيف	١٤	الكامل
١	المنسرح	١٠	البسيط
٥	مجزوء الكامل	٢	الوافر
١	مجزوء الوافر		
١	مجزوء الرمل		

فأما القوافي التي نزل لها قصائده فقد جاءت موافقة لما هو شائع في الشعر العربي بشكل عام، فقد رجحت كفة القوافي (الذلل) وهي (م، د، ح، ن) فاجتمع فيها أربعة وعشرون نصاً، واستخدم إلى جانبها ستة نصوص في (ء، ر، ب، ي) فتمت الثلاثون، بحيث ألفت قوافي الذلل نسبة ٥٥% من مجموع قصائده، وأكثر هذه الحروف استخداماً هو (الميم ثم الدال فالعين) وجاءت أقل القوافي استخداماً (الميم والضاد والقاف) استعمل كلا منها في نظم نصين، واقتصر في كلٍ من الحروف (ب، ت، ر، س، ش، ف، ك، و، ي) على نص واحد، ويرى الدكتور الطيب المجذوب، أن "الفاء" صعبة جداً، وأن مقطوعات الفاء أجود من طوالها^(١٦٨). ولكننا نرى أن الشاعر نظم فيها، أطول قصيدة في الديوان في رثاء أبيه في مئة وواحد وسبعين بيتاً وهي من قصائده الجيدة.

١٦٨- المرشد إلى أشعار العرب ١/٤٧-٤٨.

ووفق تقسيم أبي العلاء المعري الثلاثي للقوافي "الذلل والنفر والحوش" (١٦٩)
 نجد الشاعر يستخدم خمس قصائد في (النفر) على قافية (الهاء) وضمن القوافي
 (الحوش) قافية واحدة هي الشين.

والجدول التالي يوضح أشيع القوافي استخداماً لدى الشاعر

العدد	القافية	العدد	القافية
٥	هـ	٩	م
٤	ل، ن	٨	د
٣	الهمزة	٦	ع
١	ج، ض، ت		

أما أنواع قوافيه من حيث الحركات، فقد استخدم الشاعر أربعة منها وأهمل
 (التكاوس) وكان في مقدمتها (المتواتر) حيث جاءت فيه ثلاثون قصيدة، وهي
 بنسبة ٥٥% من قوافيه، تلاها (المتدارك) جاءت فيه أربع عشرة قصيدة بنسبة
 ٢٥،٩% أما أقل القوافي استخداماً فهي المترادف حيث جاءت فيه قصيدتان
 ويكون استخدامه لها بنسبة ٣،٧%، وهذا الاستخدام طبيعي إذا ما قيس بالشعر
 العربي.

وبعد فإنني أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم دراسة وافية عن ديوان ابن الجنان
 ومن الله نستمد العون والتوفيق والحمد لله أولاً وآخراً.

١٦٩- الجامع في أخبار أبي العلاء ٣٦٥/٢.

- ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه، د. حازم عبدالله، وزارة الإعلام - بغداد ١٩٨٤.
- أبو المطرف بن عميرة المخزومي حياته وآثاره، د. محمد بن شريفة، ط. محمد الخامس ١٩٦٦.
- الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، د. منجد مصطفى بهجت، ط الرسالة، بيروت ٨٦.
- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، محمد عبدالله عنان، ط، الخانجي، القاهرة ١٩٦١.
- الإحاطة في أخبار ملوك غرناطة، ابن الخطيب (٧٧٦) ج ١-٤، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط - الخانجي، ١٧٣ - ٩٧٧.
- الأدب الأندلسي في عهد الموحدين، د. حكمة الأوسي، ط الخانجي، القاهرة ١٩٧٦.
- الأسس النفسية للإبداع الفني، د. مصطفى سويف، ط ٣، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩.
- الإيضاح في شرح التلخيص، القزويني، ط جامعة الأزهر، د. ت.
- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ط مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٥.
- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، تحقيق ميراندا وآخرون، تطوان ١٩٦٠.
- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين، د. إحسان عباس، ط ٢، دار الثقافة، بيروت ٧١.

- تاريخ الفكر الأندلسي، بالننثيا، ترجمة د. حسين مؤنس، ط النهضة المصرية، القاهرة ١٩٠٠.
- تاريخ الموسيقى الأندلسية، د. عبدالرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت ١٩٦٩.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر، د. إحسان عباس، ط ٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٨.
- تحرير التحرير، لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق د. حفي محمد شرف، القاهرة ١٣٥٣.
- التصوف الإسلامي د. زكي مبارك، ط دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٥٤.
- الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره، د. محمد سليم الجندي، ط المجمع العلمي بدمشق، ١٩٦٢.
- جذوة الاقتباس، ابن القاضي (١٠٢٥هـ)، ط دار المنصور للطباعة، المغرب ١٩٧٤.
- حجة الله على العاملين، يوسف النبهاني، مكتبة ايسين، إستانبول ١٩٧٤.
- الحلل السندسية، شكيب أرسلان، ط دار مكتبة الحياة - بيروت، د.ت.
- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، ط نهضة مصر، ١٩٥٤.
- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ)، ح ١-٣ قسم المغرب والأندلس. تحقيق أذرتاش والمرزوقي والمطوي والجيلاني بن يحيى، ط الدار التونسية، ١٩٧٠.

- الخزانة لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، دار القاموس الحديث، مكتبة لبنان، د.ت.
- ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة د. منجد مصطفى بهجت، معدة للطبع.
- ديوان أبي إسحاق الالبيري، تحقيق د. محمد رضوان الداية، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٦.
- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي (٧٠٣هـ)، السفر الأول بقسمين، تحقيق محمد بن شريفة، السفر ٤، ٥، ٦ تحقيق د. إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٧٥.
- زواهر الفكر وجواهر الفقر، لابن المرابط (ت ٦٦٣هـ)، مصورة مكتبة الاوسكريال رقم ٥١٨.
- سعادة الدارين، يوسف بن إسماعيل النبھاني، ط بيروت، ١٣١٦هـ.
- الشعر العربي في العراق، من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد، د. عبدالكريم توفيق العبود، دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦.
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين، د. محمد مجيد السعيد، ط وزارة الإعلام، بغداد ١٩٨٠.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة.
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، ط المشهد الحسيني، القاهرة، د.ت.
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، محمد عبدالله عنان، ح ١-٢، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٤.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، محمد محيي الدين عبدالحميد، ح ١-٢، ط ٣، السعادة بمصر ١٩٦٣.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، أبو العباس الغبريني (ت ٧٠٤): تحقيق رايح بونارط، الشركة الوطنية، الجزائر ١٩٧٠.
- فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، ط ٢، دار المعارف بمصر ١٩٧٧.
- القصيدة المباركة الشريفة، د. منجد مصطفى بهجت، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ١٧٦ كانون الأول، بغداد ١٩٨٤.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبدالباقي، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير الموصل، ح ١-٢، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٩.
- مختصر تاريخ العرب، سيد أمير علي - ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١.
- المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية، د. ناظم رشيد، مجلة آداب الرافدين، العدد ١٣، جامعة الموصل ١٩٨١.
- المديح النبوية في الشعر الأندلسي، عهد الموحد، د. منجد مصطفى بهجت، مجلة آداب الرافدين، العدد ١٣، جامعة الموصل ١٩٨١.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب، د. عبدالله الطيب المجنوب، ط ٢، دار الفكر - بيروت ١٩٧٠.

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ)،
تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨.